وَفَاة الرَسُول

صلى الله عليه وسلم

كتبه

محمد سعد عبد الحليم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ))

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا))

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا))

: أَمَّا بَعْدُ

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ وَكُلُّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ ، وإِنَّمَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ فَإِنَّمَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى .

في هذا الكتاب نتناول هذا الجزء الهام من سيرة النبي العطرة صلى الله عليه وسلم ، وهو أيام مرضه ووفاته .

وقد سمعت الكثير من الخطباء وغيرهم من الذين يتناولون هذا الجزء ، ولكنهم مع الأسف الشديد ، يخلطون الصحيح بالضعيف بل وبالموضوع ، والكثير أيضًا لا يتناول إلا الضعيف الذي لا يثبت ، ويتركون الصحيح مع أن فيه الغنية والكفاية .

لذا أحببت أن أجمع ما صح فقط عن مرض النبي صلى الله عليه وسلم وفاته .

ـــ لأداء بعض حق من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم علينا .

ـــ ولبيان الحق في هذه المسألة ، وإظهار السنة الصحيحة .

كما أن في إظهار هذا الجانب المهم من السيرة إثارة لمشاعر المسلمين ، لتزداد محبـــتهم وشوقهم للنبي صلى الله عليه وسلم .

فتذكر وفاته ومعرفة تفاصيلها ترقق القلوب ، وتدمع العيون ، وتزكي النفوس ، وتزيد الحنين إليه ، وتدفع المسلم للإكثار من الصلاة والسلام عليه ، وتدفع للإكثـــار مـــن الدعاء بنيل شفاعته ، والورود على حوضه ، والاجتماع به ، والدخول في ســـنته في الدنيا ، وتحت لواءه في الآخرة .

ولعلها تكون سببًا في العودة لتعلم هديه ، والتمسك بسنته ، والعمل على نشرها

ولعلها تكون بابًا لمعرفة عظم قدر هذا النبي المصطفى أفضل خلق الله وأحبهم إليه صلى الله عليه وسلم .

ولعلها تكون دافعًا لتكون من أنصاره صلى الله عليه وسلم ، في زمن الغربة ، والبعـــد عن الدين .

نسأل الله تعالى أن يجمع بيننا وبين الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامـــة وأن لا يفرق بيننا وبينه ، حتى يدخلنا مدخله ، وإن قصرت بنا الأعمال ، فإن شـــاء الله لا تقصر بنا محبته صلى الله عليه وسلم ، فكما قال صلى الله عليه وسلم ((المرء يحشر مع من أحب)) .

ونسأله تعالى أن يرزقنا ثواب هذا الجمع وأن يجعله من العلم النافع ، وأن يجعله قـــربى إليه ، وسببًا في نيل محبته عز وجل ، ونسأله تبارك وتعالى العفو والعافية .

وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه الفقير إلى رحمة الله وعفوه

محمد سعد عبدالدايم

الأربعاء ٩ من ذي القعدة ١٤٣٠ هـــ الموافق ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٩

وفاة الرســـــول صلى الله عليه وسلم

الآيات والأحاديث والعلامات

المنذرة باقتراب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا تزال منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في نفوس المسلمين عظيمة جـــدًا ، فمحبتـــه وتعظيمه وإجلاله ومهابته تملأ القلوب ، وتستحوذ على النفوس .

وما كان أحد من الصحابة الكرام يتخيل أن النبي صلى الله عليه وسلم سيغيب عـــنهم يومًا ، أو تطلع شمس يوم جديد وليس بينهم ..

ولكن الله تعالى الحي الذي لا يموت كتب الموت على الخلائق ، وسبحانه يعلم ما يدور في النفوس وما يتردد في الصدور

فمهد للصحابة الكرام بذلك .. لعلمه جل وعلا بعظيم المصاب في سيد الخلق وخـــير البرية عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم

قال الله تعالى :

((إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ))[1]

وقال تعالى :

((وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ))[2]

وقال تعالى :

((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ))[3]

---

[1] الزمر ٣٠-٣١

[2] الأنبياء ٣٤

[3] آل عمران ١٤٤-١٤٥

قال ابن كثير : وهذه الآية هي التي تلاها الصديق يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعها الناس كأنهم لم يسمعوها قبل.

وقال تعالى :

((إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا))

قال ابن عمر : نزلت أوسط أيام التشريق في حجة الوداع فعرف رسول الله أنه الوداع، فخطب الناس خطبة أمرهم فيها ونهاهم .

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

((كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يُدْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ إِنَّ لَنَا أَبْنَاءً مِثْلَهُ فَقَالَ إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ فَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ" فَقَالَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ قَالَ مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلا مَا تَعْلَمُ))[٤]

ولقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم أمته باقتراب أجله ، نبه على ذلك في حجة الوداع وهذا مما أطلعه الله تعالى عليه :

عن جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قال :

((رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَيَقُولُ : لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ))[٥]

قال النووي : (لَعَلِّي لا أَحُجّ بَعْد حَجَّتِي هَذه) فِيهِ : إِشَارَة إِلَى تَوْدِيعهمْ وَإِعْلَامهمْ بِقُرْبِ وَفَاته صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَثّهمْ عَلَى الاعْتِنَاء بِالأَخْذِ عَنْهُ ، وَانْتِهَاز الْفُرْصَة مِنْ مُلَازَمَته ، وَتَعَلُّم أُمُور الدِّين وَبِهَذَا سُمِّيَتْ حَجَّة الْوَدَاع . وَاَللَّه أَعْلَم .[٦]

---

[٤] رواه البخاري في المناقب باب علامات النبوة (٣٦٢٧) .

[٥] رواه مسلم في الحج (٢٢٨٦) ، والنسائي في مناسك الحج (٣٠١٢) ، وأبو داود في المناسك (١٦٨٠) ، وأحمد (١٣٨٩٨) .

[٦] شرح مسلم .

ومن هذه العلامات الدالة على قرب أجله صلى الله عليه وسلم : تتابع الوحي وكثرته حتى تكون الشريعة على أتم وجه وأكمله :

عن أَنَس بْنُ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

((أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَابَعَ عَلَى رَسُولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ قَبْلَ وَفَاتِه ، حَتَّى تَوَفَّاهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ الْوَحْيُ ، ثُمَّ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ))[٧]

قال الحافظ : أَيْ أَكْثَرَ إِنْزَاله قُرْب وَفَاته صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالسِّرّ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْوُفُود بَعْد فَتْح مَكَّة كَثُرُوا وَكَثُرَ سُؤَالهمْ عَنْ الأَحْكَام فَكَثُرَ النُّزُول بِسَبَبِ ذَلِكَ .

وَوَقَعَ لِي سَبَب تَحْدِيث أَنَس بِذَلِكَ مِنْ رِوَايَة الدَّرَاوَرْدِيِّ عَنْ الْإِمَامِيّ عَنْ الزُّهْرِيِّ " سَأَلْت أَنَس بْن مَالِك : هَلْ فَتَرَ الْوَحْي عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْل أَنْ يَمُوت ؟ قَالَ : أَكْثَر مَا كَانَ وَأَجَمّه " أَوْرَدَهُ اِبْن يُونُس فِي " تَارِيخ مِصْر " فِي تَرْجَمَة مُحَمَّد بْن سَعِيد بْن أَبِي مَرْيَم .

(حَتَّى تَوَفَّاهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ الْوَحْي) أَيْ الزَّمَان الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ وَفَاته كَانَ نُزُول الْوَحْي فِيهِ أَكْثَر مِنْ غَيْره مِنْ الأَزْمِنَة .[٨]

ومن ذلك مراجعة القرآن الكريم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :

((كَانَ يُعْرَضُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ عُرِضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ))[٩]

وعَنْ عَائِشَةَ :

((عَنْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلام أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلا أُرَاهُ إِلا حَضَرَ أَجَلِي))[١٠]

---

[٧] رواه البخاري في فضائل القرآن باب كيف نزل الوحي (٤٥٩٩) ، ومسلم في التفسير (٥٣٣١) ، وأحمد (١٢٩٩٤) .

[٨] فتح الباري .

[٩] رواه أحمد (٨٨٢٣) ، والبخاري وابن ماجه بألفاظ مقاربة ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه وفي المشكاة (٢٠٩٩) .

إشارة النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته بقرب وفاته

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ :

((خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ .

قَالَ : فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ .

فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ .

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيَّرَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلامِ وَمَوَدَّتُهُ لا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلا سُدَّ إِلا بَابَ أَبِي بَكْرٍ))[١١] .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ :

إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ

فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ : فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا .

فَعَجِبْنَا لَهُ وَقَالَ النَّاسُ : انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيَّرَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ .

---

[١٠] رواه البخاري في فضائل القرآن باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم هكذا مختصراً ، ورواه بأطول من هذا رواه البخاري في المناقب (٣٣٥٣) ومسلم في فضائل الصحابة (٤٤٨٨) ، وابن ماجه في الجنائز (١٦١٠) ، وأحمد (٢٥٢٠٩) والبيهقي في الدلائل (١٦٥/٦) ويأتي بتمامه .

[١١] رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين وفضلهم (٣٦٥٤) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ إِلا خُلَّةَ الإِسْلامِ لا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ))[١٢] .

ومن العلامات : زيارته صلى الله عليه وسلم للموتى والدعاء لهم مودعًا :

وفي فعله هذا بيان عظيم شفقة النبي صل الله عليه وسلم ومحبته لأمته ، وكونه رحمة لهم ، فلما أشعره الله تعالى باقتراب أجله وخيره بين الدنيا والآخرة ، اختار النبي صلى الله عليه وسلم لقاء ربه تعالى .. وخرج لزيارة قبور أصحابه ، ودعا لهم ، لأن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وصلاته عليهم فيها كبير الرحمة بهم لأن دعائه مستجاب

فقام بزيارة قتلى أحد ، وبزيارة قبور موتى البقيع

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ :

((صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالْمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ ، ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ : إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ ، وَإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا ، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا ، قَالَ : فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[١٣] .

والصلاة هنا المقصود منها الدعاء لهم

وعَنْ أَبِي مُوَيْهِبَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ : يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأَهْلِ الْبَقِيعِ ، فَانْطَلِقْ مَعِي فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ قَالَ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ ، لَيَهْنِ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ ، أَقْبَلَتْ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يَتْبَعُ أَوَّلُهَا آخِرَهَا ، الآخِرَةُ شَرٌّ مِنْ الأُولَى ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ

---

[١٢] رواه البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه إلى المدينة (٣٩٠٤) .

[١٣] رواه البخاري في المغازي باب غزوة أحد (٤٠٤٢) .

الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ ، وَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَنَّةَ ، قُلْتُ : بِأَبِي وَأُمِّي فَخُذْ مَفَاتِيحَ الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ ، قَالَ : لا وَاللَّهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ لَقَدْ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَنَّةَ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لأَهْلِ الْبَقِيعِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَبُدِئَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قَضَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ حِينَ أَصْبَحَ))[14]

معرفة العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم بقرب وفاته لريته علامات الموت على وجهه الشريف صلوات الله وسلامه عليه .

عن ابن عباس :

((أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ ، فَقَالَ النَّاسُ : يَا أَبَا حَسَنٍ كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ : أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ بَارِئًا .

فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ وَاللَّهِ بَعْدَ ثَلاثٍ عَبْدُ الْعَصَا ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لأَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوْفَ يُتَوَفَّى مِنْ وَجَعِهِ هَذَا ، إِنِّي لأَعْرِفُ وُجُوهَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عِنْدَ الْمَوْتِ ، اذْهَبْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْنَسْأَلْهُ فِيمَنْ هَذَا الأَمْرُ إِنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنَا ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا عَلِمْنَاهُ فَأَوْصَى بِنَا ، فَقَالَ عَلِيٌّ : إِنَّا وَاللَّهِ لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَنَاهَا لا يُعْطِينَاهَا النَّاسُ بَعْدَهُ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لا أَسْأَلُهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[15]

قَوْله : (أَنْتَ وَاَللَّه بَعْد ثَلاث عَبْد الْعَصَا) هُوَ كِنَايَة عَمَّنْ يَصِير تَابِعًا لِغَيْرِهِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَمُوت بَعْد ثَلاث وَتَصِير أَنْتَ مَأْمُورًا عَلَيْك ، وَهَذَا مِنْ قُوَّة فِرَاسَة الْعَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ .[16]

ومن العلامات إخبار أصحابه باقتراب الأجل وأنهم لن يروه بعد ذلك :

---

[14] رواه أحمد (١٥٤٢٥) ، والدارمي في المقدمة (٧٨) ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٥٥/٣) ، وقال الزين في المسند (٤٠٩/١٢) : إسناده صحيح ، ورواه البيهقي في الدلائل (١٦٢/٧) .

[15] رواه البخاري في المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته (٤٠٩٢) ، وأحمد (٢٢٥٤) .

[16] فتح الباري .

عَنْ مُعَاذ بْن جَبَلٍ قَالَ :

((لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَن خَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يُوصِيه وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ ، وَرَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَته فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ : يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا ، أَوْ لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا أَوْ قَبْرِي ، فَبَكَى مُعَاذٌ جَشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْمَدِينَة فَقَالَ : إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا))[١٧]

ومن العلامات : الرؤى التي رأها بعض الصحابة الدالة على وفاته :

رؤيا السيدة عائشة رضي الله عنها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم :

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

((رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجري فقال أبو بكر إن صدقت رؤياك دُفِنَ في بيتك خير أهل الأرض ثلاثة ، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لها أبو بكر : خير أقمارك يا عائشة ، ودفن في بيتها أبو بكر وعمر))[١٨] .

رؤيا العباس رضي الله عنه : عم النبي صلى الله عليه وسلم :

عن العباس بن عبد المطلب قال :

((رأيت في المنام كأن الأرض تنزع إلى السماء بأشطان شداد فقصصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك وفاة ابن أخيك))[١٩] .

(أشطان): أي حبال .. أي أنه رأى الأرض تُجذب بحبال قوية إلى السماء .

---

[١٧] رواه أحمد (٢١٠٤٠) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٧/٤) رواه أحمد بإسنادين ، ورجال الإسنادين رجال الصحيح غير راشد بن سعد وعاصم بن حميد وهما ثقتان

[١٨] قال الهيثمي في مجمع الزوائد : (٧٨/٤) : رواه الطبراني في الكبير واللفظ له، والأوسط ورجال الكبير رجال الصحيح ، ورواه البيهقي دلائل النبوة ٧ / ٢٦٢وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣ / ٦٠ وقال: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ".

[١٩] قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٧/٤) : رواه البزار والطبراني ورجالهما ثقات.

(وفاة ابن أخيك) : يعني نفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم .

ومن العلامات : ما ألقاه الله تعالى على لسان امرأة من الصحابة :

وعن جُبَيْر بْنَ مُطْعِمٍ قال :

((أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةٌ فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ ؟ كَأَنَّهَا تُرِيدُ الْمَوْتَ ، قَالَ : إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ))[٢٠].

فهذه كلها مجموعة من الإشارات والعلامات التي كانت تعلن باقتراب أجل النبي صلى الله عليه وسلم ، وانتقاله إلى الملأ الأعلى ومفارقة الدنيا .. صلوات ربي وسلامه عليه

[٢٠] رواه البخاري الأحكام باب الاستخلاف (٦٦٨٠) ، ومسلم في فضائل الصحابة (٤٣٩٨) ، والترمذي في المناقب (٣٦٠٩) ، وأحمد (١٦١٥٤) .

بداية مرضه صلى الله عليه وسلم

نذكر هنا بداية مرض النبي صلى الله عليه وسلم الذي نزل به قبل موته ، كما جاء في كتب السير والسنة الصحيحة

قال محمد بن إسحاق :

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع في ذي الحجة فأقام بالمدينة بقيته والمحرم وصفرًا وبعث أسامة بن زيد فبينا الناس على ذلك ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكواه الذي قبضه الله فيه إلى ما أراده الله من رحمته وكرامته في ليال بقين من صفر أو في أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتدئ به رسول الله من ذلك فيما ذكر لي أنه خرج إلى بقيع الغرقد، من جوف الليل، فاستغفر لهم ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك.

وعَنْ أَبِي مُوَيْهِبَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ : يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأَهْلِ الْبَقِيعِ ، فَانْطَلِقْ مَعِي فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ قَالَ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ ، لِيَهْنِ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّاكُمُ اللَّهُ مِنْهُ ، أَقْبَلَتْ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يَتْبَعُ أَوَّلُهَا آخِرَهَا ، الآخِرَةُ شَرٌّ مِنْ الأُولَى ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ ، وَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَنَّةَ ، قُلْتُ : بِأَبِي وَأُمِّي فَخُذْ مَفَاتِيحَ الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ ، قَالَ : لا وَاللَّهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ لَقَدْ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَنَّةَ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لأَهْلِ الْبَقِيعِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ

فَبُدِئَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قَضَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ حِينَ أَصْبَحَ))[٢١]

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ :

((رَجَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ جَنَازَةٍ بِالْبَقِيعِ وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي وَأَنَا أَقُولُ : وَا رَأْسَاهْ ، قَالَ : بَلْ أَنَا وَا رَأْسَاهْ ، قَالَ : مَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي فَغَسَّلْتُكِ وَكَفَّنْتُكِ ثُمَّ صَلَّيْتُ عَلَيْكِ وَدَفَنْتُكِ ، قُلْتُ : لَكَأَنِّي بِكَ وَاللَّهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي فَأَعْرَسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ ، قَالَتْ : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بُدِئَ بِوَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ))[٢٢]

قال الحافظ :

وَأَمَّا ابْتِدَاؤُهُ فَكَانَ فِي بَيْت مَيْمُونَة ، وهو الْمُعْتَمَد .

وَذَكَرَ الْخَطَّابِيُّ : أَنَّهُ ابْتَدَأَ بِهِ يَوْم الاثْنَيْنِ وَقِيلَ يَوْم السَّبْت

وَقَالَ الْحَاكِم أَبُو أَحْمَد : يَوْم الأَرْبِعَاء .

وَاخْتُلِفَ فِي مُدَّة مَرَضه ، فَالأَكْثَر عَلَى أَنَّهَا ثَلاثَة عَشَر يَوْمًا ، وَقِيلَ بِزِيَادَةِ يَوْم وَقِيلَ بِنَقْصِهِ . وَالْقَوْلان فِي " الرَّوْضَة " وَصَدَرَ بِالثَّانِي .

وَقِيلَ عَشَرَة أَيَّام وَبِهِ جَزَمَ سُلَيْمَان التَّيْمِيُّ فِي مَغَازِيه وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيح.[٢٣]

---

[٢١] رواه أحمد (١٥٤٢٥) ، والدارمي في المقدمة (٧٨) ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٥٥/٣) ، وقال الزين في المسند (٤٠٩/١٢) : إسناده صحيح ، ورواه البيهقي في الدلائل (١٦٢/٧) .

[٢٢] رواه أحمد (٢٤٧٢٠) ، وابن ماجه في الجنائز (١٤٥٤) ، والدارمي في المقدمة (٨٠) وحسنه الألباني في المشكاة (٥٩٧١) .

[٢٣] فتح الباري .

وقال ابن رجب :

كان ابتداء مرضه في أواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يومًا في المشهور ، وقيل أربعة عشر يومًا ، وقيل اثنا عشر يومًا ، وقيل عشرة أيام وهو غريب .[٢٤]

ومن هذه الأقوال يتبين أن مرض النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بالمدة الطويلة فأقل ما قيل عشرة أيام ، وأكثر ما قيل أربع عشرة يومًا .

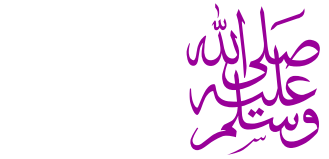

[٢٤] لطائف المعارف ١٠٥

ذكر ما جاء في أيام مرضه
صلى الله عليه وسلم

سبب مرض النبي صلى الله عليه وسلم

في غزوة خيبر وضعت يهودية السم في شاة ، وقدمتها للنبي صلى الله عليه وسلم ليأكل منها ، فأكل منها صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولكن الله تعالى أنطق الشاة وأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنها مسمومة .. وذلك بعد أن أكل منها وأكل منها بعض أصحابه .

فمات من سمها بشر بن البراء رضي الله عنه .

ولفظ أبو بكر الصديق ما كان منها في فمه ، ولم يكن قد ابتلعه بعد .

وأكل منها النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله العلي القدير أوقف مفعول السم ، وأظهر هذا المفعول للسم عند وفاته .

فكان سبب مرضه انظلاق السم في البدن الشريف .. لتكون وفاته شهادة في سبيل الله تعالى .. ولتكون أعلى المراتب له على الإطلاق صلى الله عليه وسلم .

فنال درجة الرسالة والشهادة مع كان عليه صلى الله عليه وسلم من شدة اجتهاد في عبادة ربه في كل المقامات والأحوال .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ فَأَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ : ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ ، فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ ، فَمَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الأَنْصَارِيُّ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ : مَا حَمَلَكِ عَلَى الَّذِي صَنَعْتِ ؟ قَالَتْ : إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ ، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فَقُتِلَتْ ، ثُمَّ قَالَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ : مَازِلْتُ أَجِدُ مِنْ الأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ فَهَذَا أَوَانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِي))[٢٥]

(قَطَعَتْ أَبْهَرِيَّ) : قَالَ فِي النِّهَايَةِ : الأَبْهَر عِرْق فِي الظَّهْر وَهُمَا أَبْهَرَان ، وَقِيلَ هُمَا الأَكْحَلان اللَّذَان فِي الذِّرَاعَيْنِ ، وَقِيلَ هُوَ عِرْق مُسْتَبْطِن الْقَلْب فَإِذَا انْقَطَعَ لَمْ تَبْقَ مَعَهُ حَيَاة انْتَهَى .[٢٦]

وقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ :

((يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ))[٢٧]

عَنْ عَبد اللَّه بن مسعود قَالَ :

((لأَنْ أَحْلِفَ تِسْعًا أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُتِلَ قَتْلاً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ وَاحِدَةً أَنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ نَبِيًّا وَاتَّخَذَهُ شَهِيدًا))

قَالَ الأَعْمَشُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لإِبْرَاهِيمَ بن يزيد فَقَالَ :

كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الْيَهُودَ سَمُّوهُ وَأَبَا بَكْرٍ .[٢٨]

---

[٢٥] رواه البخاري في الجزية (٢٩٢٣) ، وأبو داود في الديات (٣٩١٢) واللفظ لـه وصححه الألباني ، وأحمد (٩٤٥١) ، والدارمي في المقدمة (٦٩) .

[٢٦] عون المعبود .

[٢٧] رواه البخاري في المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ، والبيهقي في الدلائل (١٧٢/٧) .

[٢٨] رواه أحمد في مسند ابن مسعود (٣٦٧٩) و (٣٩٢٥) وقال أحمد شاكر في المسند (١٥٥/٤) : إسناده صحيح ، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الدلائل (١٧٢/٧) .

عن أم عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب قالت :

((أَنَّ أُمَّ مُبَشِّرٍ دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فَقَالَتْ : بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَتَّهِمُ بِنَفْسِكَ ؟ فَإِنِّي لا أَتَّهِمُ إِلا الطَّعَامَ الَّذِي أَكَلَ مَعَكَ بِخَيْبَرَ ، وَكَانَ ابْنُهَا مَاتَ قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : وَأَنَا لا أَتَّهِمُ غَيْرَهُ ، هَذَا أَوَانُ قَطْعِ أَبْهَرِي))[٢٩]

فهذه أم بشر ذلك الصحابي الذي أكل من الشاة المسمومة مع النبي صلى الله عليه وسلم فمات من تلك الأكلة

وقولها (ما تتهم بنفسك ؟) أي يا رسول الله ماذا تري في سبب مرضك هذا ، فإني لا أظن إلا أن هذا المرض بسبب أكلك من الشاة المسمومة في خيبر .

فأقرها النبي صلى الله عليه وسلم ، بل وقال (وأنا لا أتهم غيره) أي لا سبب آخر للمرض غير ذلك السم ، وقد أطلقه الله تعالى الآن ليكون فيه موته صلى الله عليه وسلم ، وتكون له شهادة .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

[٢٩] رواه أحمد (٢٢٨٠٧) ، وأبو داود في الديات ٣٩١٣) وصححه الألباني في صحيح أبي داود .

شدة المرض وثقله على النبي صلى الله عليه وسلم

بعد سريان مفعول السم في بدن النبي صلى الله عليه وسلم ، بدأت تظهر آثاره ، فأصيب النبي صلى الله عليه وسلم بالحمى ، واشتدت حراراته ، واشتد عليه الوجع والألم .

عنْ عَبْد اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

((أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا وَقُلْتُ : إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا ، قَالَ : أَجَلْ كَمَا يُوعَكُ رَجُلان مِنْكُمْ ، قُلْتُ : إِنَّ ذَاكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ ، قَالَ : أَجَلْ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى إِلا حَاتَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ))[٣٠]

قَوْله : (دَخَلْت عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَك) الْوَعْك : الْحُمَّى وَقِيلَ أَلَم الْحُمَّى ، وَقِيلَ تَعَبهَا ، وَقِيلَ إِرْعَادهَا الْمَوْعُوك وَتَحْرِيكهَا إِيَّاهُ ، وَعَنْ الْأَصْمَعِيّ الْوَعْك الْحَرّ

وفي الحديث أن شِدَّة الْمَرَض تَرْفَع الدَّرَجَات وَتَحُطّ الْخَطِيئَات أَيْضًا حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهَا شَيْء

ولكن الأمر في حق النبي صلى الله عليه وسلم هو من باب رفع الدرجات وتعظيم الأجر وإعلاء المنزلة والرفعة عند الله تعالى .

قَالَ ابْن الْجَوْزِيّ : فِي الْحَدِيث دَلَالَة عَلَى أَنَّ الْقَوِيّ يَحْمِل مَا حَمَلَ ، وَالضَّعِيف يُرْفَق بِهِ إِلَّا أَنَّهُ كُلَّمَا قَوِيَتْ الْمَعْرِفَة بِالْمُبْتَلَى هَانَ عَلَيْهِ الْبَلَاء ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُر إِلَى أَجْر الْبَلَاء

---

[٣٠] رواه البخاري في المرض باب شدة المرض (٥٢١٥) وفي المرضى (٥٢٣٥) ، ومسلم في البر والصلة (٤٦٦٣) ، وأحمد (٣٤٣٦) .، والدارمي في الرقاق (٢٦٥٢) .

فَيَهُون عَلَيْهِ الْبَلَاء ، وَأَعْلَى مِنْ ذَلِكَ دَرَجَة مَنْ يَرَى أَنَّ هَذَا تَصَرُّف الْمَالِك فِي مِلْكه فَيُسَلِّم وَلَا يَعْتَرِض ، وَأَرْفَع مِنْهُ مَنْ شَغَلَتْهُ الْمَحَبَّة عَنْ طَلَب رَفْع الْبَلَاء ، وَأَنْهَى الْمَرَاتِب مَنْ يَتَلَذَّذ بِهِ لِأَنَّهُ عَنْ اِخْتِيَاره نَشَأَ ، وَاَللَّه أَعْلَم .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ :

((دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ :

فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللِّحَافِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ ؟!

قَالَ : إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلاءُ وَيُضَعَّفُ لَنَا الأَجْرُ .

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه : أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قَالَ : الأَنْبِيَاءُ .

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ الصَّالِحُونَ إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلا الْعَبَاءَةَ يُحَوِّيهَا ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ))[٣١]

وعن عَائِشَة قالت :

((مَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[٣٢]

---

[٣١] رواه ابن ماجه في الفتن باب الصبر على البلاء (٤٠١٤) ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ، وفي الزوائد : إسناده صحيح رجاله ثقات .

[٣٢] رواه البخاري في المرضى (٥٢١٤) ، مسلم في البر والصلة باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض (٤٦٦٢) ، والترمذي في الزهد (٢٣٢١) ، وابن ماجه في الجنائز (١٦١١) ، وأحمد (٢٤٣٠٦) .

عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ :

((لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَبَطْتُ وَهَبَطَ النَّاسُ مَعِي إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَصْمَتَ فَلا يَتَكَلَّمُ فَجَعَلَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ يَصُبُّهَا عَلَيَّ أَعْرِفُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي))[٣٣]

قَوْلُهُ : (لَمَّا ثَقُلَ) أَيْ ضَعُفَ .. أي أصابه الضعف من شدة المرض

(هَبَطْت) أَيْ نَزَلْت مِنْ مَسْكَنِي الَّذِي كَانَ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ (وَهَبَطَ النَّاسُ) أَيْ الصَّحَابَةُ جَمِيعُهُمْ مِنْ مَنَازِلِهِمْ .. وذلك لعلمهم باشتداد المرض فاجتمعوا لذلك

(وَقَدْ أُصْمِتَ) يُقَالُ أُصْمِتَ الْعَلِيلُ إِذَا اُعْتُقِلَ لِسَانُهُ ، فلم يستطع النبي صلى الله عليه وسلم الكلام من شدة مرضه .

(أَعْرِفُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي) أَيْ لِمَحَبَّتِهِ .

انتقال النبي صلى الله عليه وسلم لبيت عائشة عليها السلام

عن عَائِشَةَ قَالَتْ :

((لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي ، فَأَذِنَّ لَهُ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلاهُ فِي الأَرْضِ بَيْنَ عَبَّاسٍ وَرَجُلٍ آخَرَ ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ : أَتَدْرِي مَنْ الرَّجُلُ الآخَرُ ؟ قُلْتُ : لا ، قَالَ : هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَعْدَمَا دَخَلَ بَيْتَهُ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ : هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ ، وَأُجْلِسَ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ تِلْكَ ، حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا : أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ فصلى لهم وخطبهم))[٣٤]

---

[٣٣] رواه أحمد (٢٠٧٦٠) ، والترمذي في المناقب (٣٧٥٣) ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي .

[٣٤] رواه البخاري في الوضوء باب الغسل والوضوء في المخضب (١٩١) ، وفي الطب (٥٢٧٥) .

عن عروة بن الزبير :

((أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا كَانَ فِي مَرَضِه جَعَلَ يَدُورُ فِي نِسَائِه وَيَقُولُ أَيْنَ أَنَا غَدًا أَيْنَ أَنَا غَدًا حِرْصًا عَلَى بَيْتِ عَائِشَةَ قَالَتْ عَائِشَةُ فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي سَكَنَ))[٣٥]

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

((إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم لَيَتَعَذَّرُ فِي مَرَضِه أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ ؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا ؟ اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَدُفِنَ فِي بَيْتِي))[٣٦] .

سحري : أسفل الصدر .

وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ :

((لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَّ لَهُ))[٣٧]

وفي هذه الأحاديث بيان عظيم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه من رفيع الأدآب وحسن المعاشرة ، فهو محبته لأن يكون في بيت عائشة إلا أنه استأذن بقية الزوجات ، لما لهم فيه من حق .

وفيه إيثار زوجات النبي صلى الله عليه وسلم لحظ النبي صلى الله عليه وسلم عن حظهن ، وحرصهن على رضاه وفعل ما يحب ، فلم تمتعض واحدة منهن لطلبه ولم تتأخر .. بل جميعهن وافقن على أن يكون في بيت عائشة رضي الله عنهن جميعًا .

وفي الأحاديث بيان فضل عائشة وعظيم محبتها ومنزلتها عند النبي صلى الله عليه وسلم .

---

[٣٥] رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة رضي الله عنها (٣٧٧٤) .

[٣٦] رواه البخاري في كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٣٨٩) ، ومسلم في فضائل الصحابة (٤٤٧٣) .

[٣٧] رواه البخاري في الجهاد والسير بَاب مَا جَاءَ فِي بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٠٩٩) .

محاولة أهل البيت معالجة النبي صلى الله عليه وسلم :

عن عَائِشَةُ رضي الله عنها قالت :

((لَدَدْنَاهُ فِي مَرَضِه ، فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا : أَنْ لا تَلُدُّونِي ، فَقُلْنَا : كَرَاهِيَةُ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدُّونِي ، قُلْنَا : كَرَاهِيَةَ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ ، فَقَالَ : لا يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْبَيْتِ إِلا لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلا الْعَبَّاسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ))[٣٨]

(لَدَدْنَاهُ) أَيْ جَعَلْنَا فِي جَانِب فَمه دَوَاء بِغَيْرِ اخْتِيَاره ، وَهَذَا هُوَ اللُّدُود ، فَأَمَّا مَا يُصَبّ فِي الْحَلْق فَيُقَال لَهُ الْوُجُور ، وَقَدْ وَقَعَ عِنْد الطَّبَرَانِيِّ مِنْ حَدِيث الْعَبَّاس " أَنَّهُمْ أَذَابُوا قِسْطًا – أَيْ بِزَيْت – فَلَدُّوهُ بِهِ " .

(لا يَبْقَى أَحَد فِي الْبَيْت إِلا لُدَّ وَأَنَا أَنْظُر إِلا الْعَبَّاس فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدكُمْ) وَإِنَّمَا فُعِلَ بِهِمْ ذَلِكَ عُقُوبَة لَهُمْ لِتَرْكِهِمْ اِمْتِثَال نَهْيه عَنْ ذَلِكَ ، أَمَّا مَنْ بَاشَرَهُ فَظَاهِر ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يُبَاشِرهُ فَلِكَوْنِهِمْ تَرَكُوا نَهْيهمْ عَمَّا نَهَاهُمْ هُوَ عَنْهُ .

قَالَ اِبْن الْعَرَبِيّ : أَرَادَ أَنْ لا يَأْتُوا يَوْم الْقِيَامَة وَعَلَيْهِمْ حَقّه فَيَقَعُوا فِي خَطْب عَظِيم ، وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ كَانَ يُمْكِن الْعَفْو لأَنَّهُ كَانَ لا يَنْتَقِم لِنَفْسِه

وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ تَأْدِيبهمْ لِئَلا يَعُودُوا ، فَكَانَ ذَلِكَ تَأْدِيبًا لا قِصَاصًا وَلا اِنْتِقَامًا .

وَرَوَاهُ عَبْد الرَّزَّاق بِإِسْنَاد صَحِيح عَنْ أَسْمَاء بِنْت عُمَيْسٍ قَالَتْ :

((إِنَّ أَوَّل مَا اشْتَكَى كَانَ فِي بَيْت مَيْمُونَة ، فَاشْتَدَّ مَرَضه حَتَّى أُغْمِيَ عَلَيْهِ ، فَتَشَاوَرْنَ فِي لَدّه فَلَدُّوهُ . فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : هَذَا فِعْل نِسَاء جِئْنَ مِنْ هُنَا – وَأَشَارَ إِلَى الْحَبَشَة – وَكَانَتْ أَسْمَاء مِنْهُنَّ فَقَالُوا : كُنَّا نَتَّهِم بِك ذَات الْجَنْب ، فَقَالَ : مَا كَانَ اللَّه لِيُعَذِّبنِي بِهِ ، لا يَبْقَى أَحَد فِي الْبَيْت إِلا لُدَّ . قَالَ : فَلَقَدْ الْتَدَّتْ مَيْمُونَة وَهِيَ صَائِمَة)) .[٣٩]

---

[٣٨] رواه البخاري في المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته (٤٠٩٩) ، ومسلم في السلام (٤١٠١) ، والنسائي في الجنائز (١٨١٦) ، وابن ماجه في الجنائز (١٦١٦) ، وأحمد (٢٣٧١٨)

[٣٩] فتح الباري

رقية عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم :

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

((أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ ، فَلَمَّا اشْتَكَى وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ طَفِقْتُ أَنْفِثُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفِثُ وَأَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ))

وفي رواية : ((فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا)) [٤٠] .

أي أنها كانت تقرأ وتنفث في يد النبي صلى الله عليه وسلم ثم تمسح بيده جسده طلبًا لبركته صلى الله عليه وسلم .

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ :

((كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَبِالْمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ قَالَتْ عَائِشَةُ فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ))[٤١] .

وفي الحديث بيان مشروعية الرقية عند المرض ، وعظيم فضل المعوذتين ، لأنه فيهما الاستعاذة من جميع الشرور والآفات .. ولا يمنع ذلك الرقية بغير ذلك من الآيات والسور فالقرآن كله شفاء ورحمة .

[٤٠] رواه البخاري في المغازي باب مرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووفاته (٤٤٣٩) وفي فضائل القرآن (٥٠١٦) ، ومسلم في السلام (٤٠٦٦) ، وأبو داود في الطب (٣٤٠٣) ، وابن ماجه في الطب (٣٥٢٠) ، وأحمد (٢٣٥٨٥) ، ومالك في الجامع (١٤٨٠) .

[٤١] رواه البخاري في الطب باب النفث في الرقية (٥٧٤٨) ، وانظر التخريج السابق .

آخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ :

دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ : أَلا تُحَدِّثِينِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَتْ : بَلَى

((ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَصَلَّى النَّاسُ ؟ قُلْنَا : لا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ ، قَالَ : ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ ، قَالَتْ : فَفَعَلْنَا فَاغْتَسَلَ ، فَذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَصَلَّى النَّاسُ ؟ قُلْنَا : لا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ ، قَالَتْ : فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : أَصَلَّى النَّاسُ ؟ قُلْنَا : لا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ : ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ ، فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: أَصَلَّى النَّاسُ ؟ فَقُلْنَا : لا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلام لِصَلاةِ الْعِشَاءِ الآخِرَةِ .

فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ رَجُلاً رَقِيقًا : يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الأَيَّامَ .

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً ، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ لِصَلاةِ الظُّهْرِ ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ لا يَتَأَخَّرَ ، قَالَ :

أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ ، فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَ : فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي وَهُوَ يَأْتَمُّ بِصَلاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالنَّاسُ بِصَلاةِ أَبِي بَكْرٍ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ .

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : فَدَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ لَهُ : أَلا أَعْرِضُ عَلَيْكَ مَا حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ عَنْ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : هَاتِ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَدِيثَهَا ، فَمَا أَنْكَرَ مِنْهُ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : أَسَمَّتْ لَكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ مَعَ الْعَبَّاسِ ؟ قُلْتُ : لا ، قَالَ : هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ))[٤٢]

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

((لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،(لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَحَضَرَتْ الصَّلاةُ) (فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ) .

جَاءَ بِلالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلاةِ فَقَالَ : مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ .

قَالَتْ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ (رَقِيقٌ) وَإِنَّهُ مَتَى يَقُومُ فِي مَقَامِكَ لا يُسْمِعُ النَّاسَ (مِنْ الْبُكَاءِ ، يَبْكِي فَلا يَقْدِرُ عَلَى الْقِرَاءَةِ) فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ ، فَقَالَ : مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ ، فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ قُولِي لَهُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ وَإِنَّهُ مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ لا يُسْمِعُ النَّاسَ فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ ، فَقَالَتْ لَهُ ، فَقَالَ : إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ (فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ مَا كُنْتُ لأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا)

---

[٤٢] رواه البخاري في الأذان باب إنما جعل الإمام ليأتم به (٦٤٦) ، ومسلم في الصلاة (٦٢٩) ، وابن ماجه في الصلاة (١٢٢٢) ، وأحمد (٤٨٩٤) ، والدارمي في الصلاة (١٢٢٩) .

قَالَتْ : فَأَمَرُوا أَبَا بَكْرٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلاةِ وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً قَالَتْ فَقَامَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ وَرِجْلاهُ تَخُطَّانِ فِي الأَرْضِ (مِنْ الْوَجَعِ)

فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ حِسَّهُ فَذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ قُمْ كَمَا أَنْتَ ، قَالَتْ : فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَامَ عَنْ يَسَارِ أَبِي بَكْرٍ جَالِسًا فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ جَالِسًا وَأَبُو بَكْرٍ قَائِمًا يَقْتَدِي أَبُو بَكْرٍ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ يَقْتَدُونَ بِصَلاةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ))[٤٣]

وعند البخاري

((فَعَادَتْ ــ يعني عائشة ــ فَقَالَ مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[٤٤]

وعند مسلم :

((قَالَتْ : لَقَدْ رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ وَمَا حَمَلَنِي عَلَى كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِهِ إِلا أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي قَلْبِي أَنْ يُحِبَّ النَّاسُ بَعْدَهُ رَجُلاً قَامَ مَقَامَهُ أَبَدًا وَإِلا أَنِّي كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ لَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ أَحَدٌ إِلا تَشَاءَمَ النَّاسُ بِهِ فَأَرَدْتُ أَنْ يَعْدِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ))[٤٥]،

وعنده ((فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لا يَمْلِكُ دَمْعَهُ فَلَوْ أَمَرْتَ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ وَاللَّهِ مَا بِي إِلا كَرَاهِيَةُ أَنْ يَتَشَاءَمَ النَّاسُ

---

[٤٣] رواه البخاري في الآذان (٦٦٤ــ ٦٦٥ــ ٦٧٩ــ ٦٨٣ــ ٦٨٧ــ ٧١٢ــ ٧١٣ــــ٧١٦) ، والترمذي (٣٦٠٥) ، والنسائي (٨٢٤) ، وابن ماجه (١٢٢٢) ، وأحمد (٢٤٠٩٥) وقد تم جمع ألفاظ الحديث من هذه الروايات .

[٤٤] رواه البخاري في الآذان باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (٦٧٦)

[٤٥] رواه مسلم في الصلاة باب استخلاف الإمام (٦٣١)

بِأَوَّلِ مَنْ يَقُومُ فِي مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ فَرَاجَعْتُهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا فَقَالَ لِيُصَلِّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ))[٤٦]

(إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ صَوَاحِب يُوسُف) أَيْ فِي التَّظَاهُر عَلَى مَا تُرِدْنَ ، وَكَثْرَة إِلْحَاحكُنَّ فِي طَلَب مَا تُرِدْنَهُ وَتَمِلْنَ إِلَيْهِ .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أُمِّهِ أُمِّ الْفَضْلِ قَالَتْ : ((خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَاصِبٌ رَأْسَهُ فِي مَرَضِهِ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ فَقَرَأَ بِالْمُرْسَلاتِ قَالَتْ فَمَا صَلَّاهَا بَعْدُ حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ))[٤٧]

(فَمَا صَلاهَا بَعْدُ حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ) وَقَدْ ثَبَتَ مِنْ حَدِيث عَائِشَةَ أَيْ آخِرَ صَلاةٍ صَلاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ الظُّهْرَ ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

جَمَعَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ بِأَنَّ عَائِشَةَ حَكَتْ آخِرَ صَلاةٍ صَلاهَا فِي الْمَسْجِدِ لِقَرِينَةِ قَوْلِهَا بِأَصْحَابِهِ . وَالَّتِي حَكَتْهَا أُمُّ الْفَضْلِ كَانَتْ فِي بَيْتِهِ ، كَمَا رَوَى ذَلِكَ النَّسَائِيُّ وَلَكِنَّهُ يُشْكِلُ عَلَى ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ بِلَفْظِ : خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَاصِبٌ رَأْسَهُ فِي مَرَضِهِ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ . وَيُمْكِنُ حَمْلُ قَوْلِهَا : خَرَجَ إِلَيْنَا ، أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ رَاقِدًا إِلَى مَنْ فِي الْبَيْتِ انْتَهَى مُلَخَّصًا .[٤٨]

---

[٤٦] رواه مسلم في الصلاة باب استخلاف الإمام (٦٣٢) .

[٤٧] رواه البخاري في المغازي (٤٠٧٦) ، ومسلم في الصلاة (٧٠٤) ، والترمذي في الصلاة (٢٨٣) واللفظ له ، والنسائي في الافتتاح (٩٧٥) ، وأبو داود في الصلاة (٦٨٧) ، وابن ماجه في الصلاة (٨٢٣) ، وأحمد (٢٥٦٤٦) ، ومالك في النداء للصلاة (١٥٨) ، والدارمي في الصلاة (١٢٦١) .

[٤٨] تحفة الأحوذي .

آخر مجلس جلسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

((خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ النَّاسِ خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً ، وَلَكِنْ خُلَّةُ الإِسْلامِ أَفْضَلُ ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ، غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ))[٤٩]

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :

((خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِمِلْحَفَةٍ قَدْ عَصَّبَ بِعِصَابَةٍ دَسْمَاءَ ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِلَيَّ ، فَثَابُوا إِلَيْهِ ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَيَقِلُّ الأَنْصَارُ ، حَتَّى يَكُونُوا فِي النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ الْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ شَيْئًا يَضُرُّ فِيهِ قَوْمًا وَيَنْفَعُ فِيهِ آخَرِينَ ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ فَكَانَ آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[٥٠]

وعن أَنَسَ بْنَ مَالِك قال :

((مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ ، فَقَالَ : مَا يُبْكِيكُمْ ؟ قَالُوا : ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَّا ، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ))[٥١]

---

[٤٩] رواه البخاري في الصلاة باب الخوخة والممر في المسجد (٤٤٧) ، وأحمد (٢٣٠٦) .

[٥٠] رواه البخاري في المناقب باب علامات النبوة (٣٦٢٨) ، وأحمد (٢٤٩٨) .

[٥١] رواه البخاري في المناقب باب قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقبلوا (٣٧٩٩) ، ومسلم في فضائل الصحابة (٤٥٦٥) ، والترمذي في المناقب (٣٨٤٢) ، وأحمد (١٢٦١١) .

آخر نظرة نظرها صلى الله عليه وسلم لأصحابه وآخر مرة يرون فيها وجهه الشريف

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

((كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السِّتْرَ وَرَأْسُهُ مَعْصُوبٌ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ أَلا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ))[٥٢]

عن أَنَسُ بْنُ مَالِك :

((أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَا هُمْ فِي الْفَجْرِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَأَبُوبكر يُصَلِّي بِهِمْ فَفَجِئَهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ صُفُوفٌ ، فَتَبَسَّمَ يَضْحَكُ ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلاةِ ، وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلاتِهِمْ فَرَحًا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَوْهُ ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ أَتِمُّوا ، ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرْخَى السِّتْرَ وَتُوُفِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمَ))[٥٣]

---

[٥٢] رواه مسلم في الصلاة باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (٧٣٨) ، والنسائي في التطبيق باب تعظيم الرب في الركوع (١٠٣٥) ، وأبو داود في الصلاة (٧٤٢) ، وابن ماجه في تعبير الرؤيا (٣٨٨٩) ، وأحمد (١٨٠١) ، والدارمي في الصلاة (١٣٩١) .

[٥٣] رواه البخاري في كتاب العمل في الصلاة باب من رجع القهقرى في صلاته (١٢٠٥) .

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِك قال :

((.. حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلاةِ فَكَشَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ ، كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنْ الْفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارِجٌ إِلَى الصَّلاةِ فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ أَتِمُّوا صَلاتَكُمْ ، وَأَرْخَى السِّتْرَ ، فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ صلوات الله وسلامه عليه))[٥٤]

وفي لفظ عنه

((فَلَمَّا وَضَحَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا نَظَرْنَا مَنْظَرًا كَانَ أَعْجَبَ إِلَيْنَا مِنْ وَجْهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَضَحَ لَنَا))[٥٥]

وهذا هو اليوم الذي مات فيه صلى الله عليه وسلم .

فهذه كانت آخر مرة يرى الصحابة الكرام هذا الوجه الشريف الكريم .. أي أحزان تلك التي تعصر القلوب عصرًا .. وتدمي الأفئدة .. وتريق ماء العيون .. وتهز الوجدان .. وتهد الأبدان .. إنه شيء لا يستطيعه الوصف .. ولا يدركه الخيال

---

[٥٤] رواه البخاري في الأذان باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (٦٣٩) ، ومسلم في الصلاة (٦٣٧) ، والنسائي في الجنائز (١٨٠٨) ، وابن ماجه في الجنائز (١٦١٣) ، وأحمد (١٢٥٥٧) .

[٥٥] رواه البخاري في الأذان باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (٦٤٠) .

اللهم ارزقنا رفقة نبيك الكريم واحشرنا معه ومتعنا برؤيـــة وجـــه الطيـــب الشريف ، ولا تحرمنا من ذلك يا رب العالمين .. فقد حُرِمنا من ذلك في الدنيا .. فلا تحرمنا منه في الآخرة

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا
نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي
يَوَدُّ أَحَدُهُمْ
لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ

اللهم اجعلنا منهم

آخر كلام النبي ووصاياه

صلى الله عليه وسلم

عن قيس بن أبي حازم عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ : وَدِدْتُ أَنَّ عِنْدِي بَعْضَ أَصْحَابِي

قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا نَدْعُو لَكَ أَبَا بَكْرٍ ؟

فَسَكَتَ

قُلْنَا : أَلا نَدْعُو لَكَ عُمَرَ ؟

فَسَكَتَ

قُلْنَا : أَلا نَدْعُو لَكَ عُثْمَانَ ؟

قَالَ : نَعَمْ

فَجَاءَ ، فَخَلاَ بِهِ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَلِّمُهُ ، وَوَجْهُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ .

قَالَ قَيْسٌ فَحَدَّثَنِي أَبُو سَهْلَةَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَالَ يَوْمَ الدَّارِ :

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا فَأَنَا صَائِرٌ إِلَيْهِ ، وَقَالَ عَلِيٌّ فِي حَدِيثِهِ : وَأَنَا صَابِرٌ عَلَيْهِ ، قَالَ قَيْسٌ : فَكَانُوا يُرَوْنَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ .[٥٦]

أي أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بما سيصير إليه من تكالب المنافقين عليه رضي الله عنه وقتله ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالصبر والثبات وأن لا يترك لهم الأمر ، فلما كان يوم الدار يوم اجتمع عليه المنافقين وأهل الضلالة ليقتلوه وهم مجموعة من الأعلاج .. تذكر عثمان رضي الله عنه كلام النبي صلى الله عليه وسلم له ووصيته ، فقال للناس عن تلك الوصية وذلك العهد ، وصبر رضي الله عنه حتى قُتِلَ شهيدًا صائمًا يتلو كلام الله والمصحف في يديه .. ليلحق بالحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وبصاحبيه الصديق والفاروق .

---

[٥٦] رواه ابن ماجه في المقدمة باب فضل عثمان (١١٠) ، والترمذي في المناقب (٣٦٤٤) وأحمد (٢٤٦١٤) ، وابن حبان ، وفي الزوائد : إسناده صحيح رجاله ثقات ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ، .

ومن وصاياه إحسان الظن بالله عز وجل

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيِّ قَالَ :

((سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ : لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))[٥٧]

فإن الله تبارك وتعالى لا يريد إلا الخير بعباده ، وكل عواقب أهل الإيمان إنما تصير إلى الخير والرحمة والرضا من الله تعالى .. وما يصيب الإنسان من شدة فإنما هو غفران للذنوب ورفع للدرجات

ومن وصاياه : النهي عن اتخاذ القبور مساجد :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ :

((لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، لَوْلا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَوْ خُشِيَ أَنَّ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا))[٥٨]

عن عَائِشَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ قَالا :

((لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ : لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا))[٥٩]

النبي صلى الله عليه وسلم يلعن اليهود والنصارى ، ويحرم التشبه بهم في أفعالهم ، واليوم نرى من يسارعون فيهم ، ويوالونهم ويعلنون محبتهم ، ويتشبهون بهم في أفعالهم وأقوالهم .. بل البلية من يدعي أنهم من أهل الإيمان !!!

---

[٥٧] رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها باب الأمر بحسن الظن بالله (٥١٢٥) ، وأبو داود في الجنائز (٢٧٠٦) ، وابن ماجه في الزهد (٤١٥٧) ، وأحمد (١٤٠٠٥) .

[٥٨] رواه البخاري في كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٣٩٠) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٨٢٦) ، والنسائي في المساجد (٦٩٦) ، وأحمد (١٧٨٦) والدارمي في الصلاة (١٣٦٧) .

[٥٩] رواه البخاري في الصلاة (٤١٧) ، ومسلم في المساجد (٨٢٦) ، والنسائي في المساجد (٦٩٦) ، وأحمد (١٧٨٦) ، والدارمي في الصلاة (١٣٦٧) والبيهقي في الدلائل (٢٠٣/٧) .

فكيف يفلح من ضيع أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم .. وتلاعب بشريعته .. سبحانك هذا بهتان عظيم .

ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم ينهي ويحرم اتخاذ المساجد على القبور ، فخالفوا أمر ونهيه .. فبنوا المساجد على القبور وقدموا لها النذور والقرابين وعبدوها بالطواف والدعاء بل والسجود ..!!

وصيته بإخراج المشركين من جزيرة العرب :

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

((كَانَ آخِرُ مَا عَهِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ قَالَ : لا يُتْرَكُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانِ))[٦٠]

وعن أبي عبيدة بن الجراح قال :

((كان آخر ما تكلم به أن قال قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يبقين دينان بأرض العرب))[٦١] .

الوصية بالصلاة :

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ :

((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ : الصَّلاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى مَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ))[٦٢]

(حَتَّى مَا يُفِيض بِهَا لِسَانه) أَيْ مَا يَجْرِي وَلَا يَسِيل بِهَذِهِ الْكَلِمَة لِسَانه مِنْ فَاضَ الْمَاء إِذَا سَالَ وَجَرَى حَتَّى لَمْ يَقْدِر عَلَى الإِفْصَاح بِهَذِهِ الْكَلِمَة .[٦٣]

---

[٦٠] رواه أحمد (٢٥١٤٨) ، والطبراني في الأوسط (١٠٧٠) ، وقال الزين في المسند (١٨/٢٠٠) : إسناده صحيح .

[٦١] رواه البيهقي في السنن وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦١٧) .

[٦٢] رواه ابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٦١٤) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ، وفي الزوائد : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

[٦٣] شرح ابن ماجه للسندي .

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ :

((كَانَ آخِرُ كَلامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الصَّلاةَ الصَّلاةَ اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ))[٦٤]

قَوْله (الصَّلَاة) أَيْ الْزَمُوهَا وَاهْتَمُّوا بِشَأْنِهَا وَلَا تَغْفُلُوا عَنْهَا

(وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانكُمْ) مِنْ الْأَمْوَال أَيْ أَدُّوا زَكَاتَهَا وَلَا تُسَامِحُوا فِيهَا وَهَذَا هُوَ الْمُوَافِق لِقِرَانِ الصَّلَاة فَإِنَّ الْمُتَعَارَف فِي عُرْف الطُّرُق وَالشَّرْع قِرَانهمَا

وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون وَصِيَّة بِالْعَبِيدِ وَالْإِمَاء أَيْ أَدُّوا حُقُوقهمْ وَحَسِّنُوا مَلَكَتهمْ فَإِنَّ الْمُتَبَادِر مِنْ لَفْظ مَا مَلَكَتْ الْأَيْمَان فِي عُرْف الْقِرَان هُمْ الْعَبِيد وَالْإِمَاء .[٦٥]

الوصية بكتاب الله تعالى :

عن طَلْحَةَ بْنُ مُصَرِّف قَالَ :

((سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هَلْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَى ؟ فَقَالَ : لا ، فَقُلْتُ : كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الْوَصِيَّةُ أَوْ أُمِرُوا بِالْوَصِيَّةِ ؟ قَالَ : أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ))[٦٦]

تكذيب من قال أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى لعلي رضي الله عنه

عَنْ الأَسْوَدِ قَالَ :

((ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَى إِلَى عَلِيٍّ ، فَقَالَتْ : مَنْ قَالَهُ لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَمُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي فَدَعَا بِالطَّسْتِ لِيَتفُل فيه فَانْخَنَثَ فَمَاتَ فَمَا شَعَرْتُ فَكَيْفَ أَوْصَى إِلَى عَلِيٍّ))[٦٧]

وفي هذا تكذيب لمذهب الشيعة الباطل في قولهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى لعلي رضي الله عنه ، ويطعنون بذلك على الصحابة جميعًا ، وكفى به زورًا وبهتانًا

---

[٦٤] رواه أبو داود في الأدب (٤٤٨٩) وابن ماجه في الوصايا (٢٦٨٩) ، وأحمد (٥٥٢) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود

[٦٥] شرح السندي لابن ماجه

[٦٦] رواه البخاري في الوصايا (٢٥٣٥) ، ومسلم في الوصية (٣٠٨٦) ، والترمذي في الوصايا (٢٠٤٥) ، والنسائي في الوصايا (٣٥٦١) ، وابن ماجه في الوصايا (٢٦٨٦) ، وأحمد (١٨٣٤٧) ، والدارمي في الوصايا (٣٠٥١) .

[٦٧] رواه البخاري في المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم (٤١٠٠) ، ومسلم في الوصية (٣٠٨٨) ، والنسائي في الطهارة (٣٣) ، وابن ماجه في الجنائز (١٦١٥) ، وأحمد (٢٢١٩) .

زيارة فاطمة رضي الله عنها لأبيها في مرضه

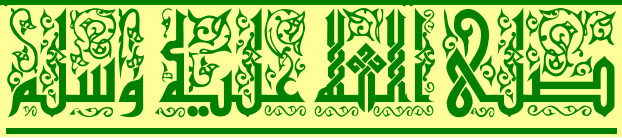

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ :

((أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْحَبًا بِابْنَتِي ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ .

فَقُلْتُ لَهَا : لِمَ تَبْكِينَ ؟

ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ .

فَقُلْتُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ ؟

فَقَالَتْ : مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُهَا ؟

فَقَالَتْ : أَسَرَّ إِلَيَّ إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلا أُرَاهُ إِلا حَضَرَ أَجَلِي ، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي فَبَكَيْتُ

فَقَالَ : أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ))[٦٨] .

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ :

((دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ قَالَتْ فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ سَارَّنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَبَكَيْتُ ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ))[٦٩] .

---

[٦٨] رواه البخاري في المناقب باب علامات النبوة (٣٦٢٣-٣٦٢٤) .

[٦٩] رواه البخاري في المناقب باب علامات النبوة (٣٦٢٥-٣٦٢٦) .

لحظات وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

عن عَائِشَةَ قَالَتْ :

((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ : إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرَ فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى سَقْفِ الْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى ، فَقُلْتُ : إِذًا لا يَخْتَارُنَا وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ ، قَالَتْ : فَكَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا : اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى))[٧٠]

وفي رواية : قَالَتْ عَائِشَةُ :

((فَلَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ أَفَاقَ ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى ، قَالَتْ عَائِشَةُ قُلْتُ : إِذًا لا يَخْتَارُنَا ، وَعَرَفْتُ الْحَدِيثَ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ وَهُوَ صَحِيحٌ فِي قَوْلِهِ : "إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرُ" ، فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى))[٧١]

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

((كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ لا يَمُوتُ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ يَقُولُ : "مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ" الآيَةَ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ))[٧٢]

أي أن خُيِّرَ بين الدنيا والآخرة .

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ عِنْدَ النَّسَائِيِّ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ " :

---

[٧٠] رواه البخاري في المغازي باب آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم (٤١٠٤) ، ومسلم في فضائل الصحابة (٤٤٧٦) ، وأحمد (٢٣٠٨٣)

[٧١] رواه مسلم في فضائل الصحابة (٤٤٧٦) .

[٧٢] رواه البخاري في المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته (٤٠٨١) ، ومسلم في فضائل الصحابة (٤٤٧٥) ، وابن ماجه في الجنائز (١٦٠٩) ، وأحمد (٢٤٢٦٢) .

((فَقَالَ : أَسْأَل اللَّه الرَّفِيق الأَعْلَى الأَسْعَد ، مَعَ جِبْرِيل وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيل "

وَفِي رِوَايَة ذَكْوَانَ عَنْ عَائِشَة " فَجَعَلَ يَقُول :

((فِي الرَّفِيق الأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ))

" الرَّفِيق " : وَهُوَ مِنْ أَسْمَاء السَّمَاء . وَقَالَ الْجَوْهَرِيّ : الرَّفِيق الأَعْلَى الْجَنَّة . وَيُؤَيِّدهُ مَا وَقَعَ عِنْد أَبِي إِسْحَاق : الرَّفِيق الأَعْلَى الْجَنَّة ، وَقِيلَ بَلْ الرَّفِيق هُنَا اسْم جِنْس يَشْمَل الْوَاحِد وَمَا فَوْقه وَالْمُرَاد الأَنْبِيَاء وَمَنْ ذُكِرَ فِي الآيَة . وَقَدْ خُتِمَتْ بِقَوْلِهِ : (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) وَمَعْنَى كَوْنهمْ رَفِيقًا تَعَاوُنهمْ عَلَى طَاعَة اللَّه وَارْتِفَاق بَعْضهمْ بِبَعْضٍ ، وَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمَد . وَعَلَيْهِ اقْتَصَرَ أَكْثَر الشُّرَّاح .

وَعِنْد أَبِي الأَسْوَد فِي الْمَغَازِي عَنْ عُرْوَة

" أَنَّ جِبْرِيل نَزَلَ إِلَيْهِ فِي تِلْكَ الْحَالَة فَخَيَّرَهُ " .

وَرَوَى الْحَاكِم مِنْ حَدِيث أَنَس :

((أَنَّ آخِر مَا تَكَلَّمَ بِهِ : جَلال رَبِّي الرَّفِيع)) .[٧٣]

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ :

((رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَمُوتُ وَعِنْدَهُ قَدَحٌ فِيهِ مَاءٌ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي الْقَدَحِ وَيَمْسَحُ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ))[٧٤]

عَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِنَّهُ لَيُهَوِّنُ عَلَيَّ أَنِّي رَأَيْتُ بَيَاضَ كَفِّ عَائِشَةَ فِي الْجَنَّةِ))[٧٥]

قال ابن كثير : وهذا دليل على شدة محبته عليه السلام لعائشة رضي الله عنها ، وقد ذكر الناس معان كثيرة في كثرة المحبة ولم يبلغ أحدهم هذا المبلغ وما ذاك إلا لأنهم يبالغون كلاماً لا حقيقة له وهذا كلام حق لا محالة ولا شك فيه.ا.هـ

---

[٧٣] فتح الباري باختصار .

[٧٤] رواه أحمد (٢٤٠٢١) والترمذي في الجنائز (٩٠٠) وابن ماجه في الجنائز (١٦١٢)وصححه الألباني في فقه السيرة (٤٦٦)

[٧٥] رواه أحمد (٢٣٩٢٥) ، وقال ابن كثير في البداية والنهاية : إسناده لا بأس به .

عن عَائِشَةَ كَانَتْ تَقُولُ :

((إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي ، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي ، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ فَقُلْتُ : آخُذُهُ لَكَ ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ : أَنْ نَعَمْ ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ : أُلَيِّنُهُ لَكَ ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ : أَنْ نَعَمْ ، فَلَيَّنْتُهُ ، فَأَمَرَّهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فِيهَا مَاءٌ ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ : فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى ، حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ))[٧٦]

وعنها :

((فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ فَاسْتَنَّ بِهَا كَأَحْسَنِ مَا كَانَ مُسْتَنًّا ثُمَّ نَاوَلَنِيهَا فَسَقَطَتْ يَدُهُ أَوْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ الآخِرَةِ))[٧٧]

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ : أَذْهِبْ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إِلا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا ، قَالَتْ : فَلَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَخَذْتُ بِيَدِهِ فَجَعَلْتُ أَمْسَحُهُ بِهَا وَأَقُولُهَا ، قَالَتْ : فَنَزَعَ يَدَهُ مِنِّي ، ثُمَّ قَالَ : رَبِّ اغْفِرْ لِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأعلى ، قَالَتْ : فَكَانَ هَذَا آخِرَ مَا سَمِعْتُ مِنْ كَلامِهِ))[٧٨]

وعند أحمد ((الرفيق الأعلى الأسعد))[٧٩]

---

[٧٦] رواه البخاري في المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته (٤٠٩٤) (٤٠٩٥) ، وأحمد (٢٣٠٨٣)

[٧٧] رواه البخاري في المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته (٤٠٩٦) .

[٧٨] رواه أحمد (٢٣٠٥٢) ، ومسلم في السلام (٤٠٦١) ، وابن ماجه في الجنائز (١٦٠٨) .

[٧٩] رواه أحمد (٢٣٧٨٨) .

عن عَائِشَةَ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَيَّ ظَهْرَهُ يَقُولُ :

((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ))[٨٠]

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

((مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي فَلا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[٨١]

عَنْ أَنَسٍ قَالَ :

((لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلام : وَا كَرْبَ أَبَاهُ

فَقَالَ لَهَا : لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ

فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ : يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ ، يَا أَبَتَاهْ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ ، يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ

فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلام : يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التُّرَابَ))[٨٢]

[٨٠] رواه البخاري في المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم (٤٠٨٦) .

[٨١] رواه البخاري في المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته (٤٠٩١) .

[٨٢] رواه البخاري في المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته (٤١٠٣) .

طيب رائحة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته

قَالَتْ عائشة رضي الله عنها :
فَلَمَّا خَرَجَتْ نَفْسُهُ لَمْ أَجِدْ رِيحًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْهَا [٨٣]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت :
مات النبي صلى الله عليه وسلم فلم خرجت نفسه ما شممت رائحة قط أطيب منها .[٨٤]

وعن أم سلمة قالت :
وضعت يدي على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات فمرت لي جمع آكل، وأتوضأ، وما يذهب ريح المسك من يدي .[٨٥]

وقال أبو بكر رضي الله عنه حين قبله بعد موته :
بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا

وقال علي رضي الله عنه وهو يغسله :
طِبْتَ حَيًّا وَطِبْتَ مَيِّتًا .

الثوب الذي توفي فيه النبي صلوات الله وسلامه عليه

[٨٣] رواه أحمد (٢٣٧٥٨) ، وقال ابن كثير في البداية والنهاية : إسناده صحيح على شرط الصحيحين .

[٨٤] قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٧/٤) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

[٨٥] رواه البيهقي في دلائل النبوة

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ :

((دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَأَخْرَجَتْ إِلَيْنَا إِزَارًا غَلِيظًا مِمَّا يُصْنَعُ بِالْيَمَنِ وَكِسَاءً مِنْ الَّتِي يُسَمُّونَهَا الْمُلَبَّدَةَ ، قَالَ : فَأَقْسَمَتْ بِاللَّهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ فِي هَذَيْنِ الثَّوْبَيْنِ))[٨٦]

الإزار : ثوب يلف به النصف الأسفل من الجسم .. وهو مثل الذي يلفه الناس اليوم في الحج على نصفهم الأسفل .

قال النووي : فيه مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الزَّهَادَة فِي الدُّنْيَا وَالإِعْرَاض عَنْ مَتَاعهَا وَمَلاذّهَا وَشَهَوَاتهَا وَفَاخِر لِبَاسهَا وَنَحْوه ، وَاجْتِزَائِه بِمَا يَحْصُل بِهِ أَدْنَى التَّجْزِئَة فِي ذَلِكَ كُلّه ، وَفِيهِ النَّدْب لِلاقْتِدَاءِ بِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا وَغَيْره .[٨٧]

وفي عون المعبود : (وَكِسَاء مِنْ الَّتِي يُسَمُّونَهَا الْمُلَبَّدَة) : قَالَ الْحَافِظ : اِسْم مَفْعُول مِنْ التَّلْبِيد وَقَالَ ثَعْلَب : يُقَال لِلرُّقْعَةِ الَّتِي يُرَقَّع بِهَا الْقَمِيص لُبْدَة ، وَقَالَ غَيْره : الَّتِي ضُرِبَ بَعْضهَا فِي بَعْض حَتَّى تَتَرَاكَب وَتَجْتَمِع اِنْتَهَى .

وَقَالَ النَّوَوِيّ : قَالَ الْعُلَمَاء : الْمُلَبَّد هُوَ الْمُرَقَّع ، يُقَال لَبَدْت الْقَمِيص أَلْبُدهُ بِالتَّخْفِيفِ فِيهِمَا ، وَلَبَّدْته أُلَبِّدهُ بِالتَّشْدِيدِ ، وَقِيلَ هُوَ الَّذِي ثَخُنَ وَسَطه حَتَّى صَارَ كَاللِّبَدِ . اِنْتَهَى .

[٨٦] رواه البخاري في فرض الخمس (٢٨٧٧) ، وفي اللباس (٥٣٧٠) ، مسلم في اللباس والزينة باب التواضع في اللباس (٣٨٧٩) واللفظ له ، والترمذي في اللباس (١٦٥٥) ، وأبو داود في اللباس (٣٥١٨) ، وأحمد (٢٢٩٠٩) .

[٨٧] شرح مسلم .

تسجية الرسول صلى الله عليه وسلم

التسجية : هي تغطية بدن المتوفى ، بثوب أو ملاءة أو نحو ذلك ، بحيث يغطى جميع جسده .

عن عَائِشَةَ قَالَتْ :

((سُجِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ مَاتَ بِثَوْبِ حِبَرَةٍ))[٨٨]

قَوْلُهَا : (سُجِّيَ) مَعْنَاهُ : غُطِّيَ جَمِيع بَدَنه .

وَالْحِبَرَة : وَهِيَ ضَرْب مِنْ بُرُود الْيَمَن .

وَفِيهِ : اِسْتِحْبَاب تَسْجِيَة الْمَيِّت ، وَهُوَ مُجْمَع عَلَيْهِ .[٨٩]

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

((أُدْرِجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُلَّةٍ يَمَنِيَّةٍ كَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ .. ثُمَّ نُزِعَتْ عَنْهُ .. وَكُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ سُحُولٍ يَمَانِيَةٍ .. لَيْسَ فِيهَا عِمَامَةٌ وَلَا قَمِيصٌ .

فَرَفَعَ عَبْدُ اللَّهِ الْحُلَّةَ فَقَالَ : أُكَفَّنُ فِيهَا ، ثُمَّ قَالَ : لَمْ يُكَفَّنْ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُكَفَّنُ فِيهَا ؟! .. فَتَصَدَّقَ بِهَا))[٩٠]

---

[٨٨] رواه البخاري في اللباس (٥٣٦٧) ، و مسلم في الجنائز باب تسجية الميت (١٥٦٦) ، وأبو داود في الجنائز (٢٧١٣) ، وأحمد (٢٣٤٤٠)

[٨٩] شرح مسلم .

[٩٠] رواه مسلم في الجنائز (١٥٦٤)

كفن النبي صلى الله عليه وسلم

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

((أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم كُفِّنَ فِي ثَلاثَة أَثْوَاب يَمَانِيَة بِيض سَحُولِيَّة مِنْ كُرْسُف لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ وَلا عِمَامَةٌ))[٩١] .

قال الحافظ : رُوِيَ (أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام كُفِّنَ فِي ثَوْبَيْنِ وَبُرْد حِبَرَة) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيث جَابِر وَإِسْنَاده حَسَن ، لَكِنْ رَوَى مُسْلِم وَالتِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث عَائِشَه أَنَّهُمْ نَزَعُوهَا عَنْهُ

قَالَ التِّرْمِذِيّ : وَتَكْفِينه فِي ثَلاثَة أَثْوَاب بِيض أَصَحّ مَا وَرَدَ فِي كَفَنه . وَقَالَ عَبْد الرَّزَّاق عَنْ مَعْمَر عَنْ هِشَام بْن عُرْوَة " لُفَّ فِي بُرْد حِبَرَة جُفِّفَ فِيهِ ثُمَّ نُزِعَ عَنْهُ " يُمْكِن أَنْ يُسْتَدَلّ لَهُمْ بِعُمُومِ حَدِيث أَنَس " كَانَ أَحَبّ اللِّبَاس إِلَى رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم الْحِبَرَة " أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ .[٩٢]

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

((كُفِّنَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلاثَة أَثْوَاب بِيض سَحُولِيَّة مِنْ كُرْسُف لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلا عِمَامَةٌ ؛ أَمَّا الْحُلَّةُ فَإِنَّمَا شُبِّهَ عَلَى النَّاس فِيهَا أَنَّهَا اشْتُرِيَتْ لَهُ لِيُكَفَّنَ فِيهَا ، فَتُرِكَتْ الْحُلَّةُ ، وَكُفِّنَ فِي ثَلاثَة أَثْوَاب بِيض سَحُولِيَّة فَأَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ

---

[٩١] رواه البخاري في كتاب الجنائز باب الثياب البيض للكفن (١٢٦٤) .

[٩٢] الفتح (١٦٢/٣) .

بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : لأَحْبِسَنَّهَا حَتَّى أُكَفِّنَ فِيهَا نَفْسِي ، ثُمَّ قَالَ : لَوْ رَضِيَهَا اللَّـــهُ عَـــزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ لَكَفَّنَهُ فِيهَا ، فَبَاعَهَا وَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهَا))[٩٣]

وعند الترمذي :

((فَذَكَرُوا لِعَائِشَةَ قَوْلَهُمْ فِي ثَوْبَيْنِ وَبُرْدٍ حِبَرَةٍ فَقَالَتْ قَدْ أُتِيَ بِالْبُرْدِ وَلَكِنَّهُمْ رَدُّوهُ وَلَمْ يُكَفِّنُوهُ فِيهِ))[٩٤]

قال النووي : السَّحُولِيَّة بِفَتْحِ السِّين وَضَمّهَا وَالْفَتْح أَشْهَر وَهُو رِوَايَة الأَكْثَرِينَ .

قَالَ ابْن الأَعْرَابِيّ وَغَيْره : هِيَ ثِيَاب بِيض نَقِيَّة لا تَكُون إِلا مِنْ الْقُطْن ، وَقَالَ ابْن قُتَيْبَة : ثِيَاب بِيض ، وَلَمْ يَخُصّهَا بِالْقُطْنِ ، وَقَالَ آخَرُونَ : هِيَ مَنْسُوبَة إِلَى سُـــحُول قَرْيَـــة بِالْيَمَنِ تُعْمَل فِيهَا

وَقَالَ الأَزْهَرِيّ : السَّحُولِيَّة – بِالْفَتْحِ – مَنْسُوبَة إِلَى سُحُول مَدِينَة بِالْيَمَنِ ، يُحْمَل مِنْهَا هَذِهِ الثِّيَاب ، وَبِالضَّمِّ ثِيَاب بِيض ، وَقِيلَ : إِنَّ الْقَرْيَة أَيْضًا بِالضَّمِّ ، حَكَاهُ ابْن الأَثِـــير فِي النِّهَايَة .

وَهَذَا الْحَدِيث يَتَضَمَّن أَنَّ الْقَمِيص الَّذِي غُسِّلَ فِيهِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُـــزِعَ عَنْهُ عِنْد تَكْفِينه ، وَهَذَا هُوَ الصَّوَاب الَّذِي لا يُتَّجَه غَيْره ؛ لأَنَّهُ لَوْ بَقِيَ مَـــعَ رُطُوبَتِـــه لأَفْسَدَ الأَكْفَان .

قَوْله : (مِنْ كُرْسُف) هُوَ الْقُطْن . وَفِيهِ : دَلِيل عَلَى اسْتِحْبَاب كَفَن الْقُطْن .

قَوْلهَا : (أَمَّا الْحُلَّة فَإِنَّمَا شُبِّهَ عَلَى النَّاس فِيهَا) قَالَ أَهْل اللُّغَة : وَلا تَكُون الْحُلَّـــة إِلا ثَوْبَيْنِ : إِزَارًا وَرِدَاء .[٩٥]

اللهم صل وسلم وبارك على حبينا محمد

---

[٩٣] رواه مسلم في الجنائز باب في كفن الميت (١٥٦٣) .

[٩٤] رواه الترمذي في الجنائز باب ما جاء في كفن النبي صلى الله عليه وسلم (٩١٧) وقال : حديث صحيح ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

[٩٥] شرح مسلم .

تغسيل النبي

صلى الله عليه وسلم

عن عَائشَة قالت :

((لَمَّا أَرَادُوا غَسْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا : وَاللَّهِ مَا نَدْرِي أَنُجَرِّدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا أَمْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ ؟

فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ النَّوْمَ ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلا وَذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ :

أَنْ اغْسِلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ

فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ يَصُبُّونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ وَيُدَلِّكُونَهُ بِالْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ .

وَكَانَتْ عَائشَةُ تَقُولُ : لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَلَهُ إِلا نِسَاؤُهُ))[٩٦]

---

[٩٦] رواه أبو داود في الجنائز باب ستر الميت عند غسله (٢٧٣٣) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ، وأحمد (٢٥١٠٢) .وأخرجه ابن حبان والحاكم .

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب قَالَ :

((لَمَّا غَسَّلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ذَهَبَ يَلْتَمِسُ مِنْهُ مَا يَلْتَمِسُ مِنْ الْمَيِّتِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَالَ بِأَبِي الطَّيِّبُ طِبْتَ حَيًّا وَطِبْتَ مَيِّتًا))[٩٧]

عَنْ عَامِرٍ بن شراحيل قَالَ :

((غَسَّلَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلِيٌّ وَالْفَضْلُ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْد ، وَهُمْ أَدْخَلُوهُ قَبْرَهُ قَالَ حَدَّثَنَا مَرْحَبٌ أَوْ أَبُو مَرْحَبٍ أَنَّهُمْ أَدْخَلُوا مَعَهُمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ فَلَمَّا فَرَغَ عَلِيٌّ قَالَ إِنَّمَا يَلِي الرَّجُلَ أَهْلُهُ))[٩٨]

قال في عون المعبود : وَأَمَّا ابْن شِهَاب فَرَوَى عَنْ ابْن الْمُسَيِّب قَالَ :

((إِنَّمَا دَفَنُوهُ الَّذِينَ غَسَّلُوهُ وَكَانُوا أَرْبَعَة عَلِيّ وَالْفَضْل وَالْعَبَّاس وَصَالِح شُقْرَان قَالَ : وَلَحَدُوا لَهُ وَنَصَبُوا اللَّبِن نَصْبًا ، قَالَ وَقَدْ نَزَلَ مَعَهُمْ فِي الْقَبْر خَوْلِيّ بْن أَوْس الأَنْصَارِيّ)) اِنْتَهَى .[٩٩]

---

[٩٧] رواه ابن ماجه في الجنائز باب غسل النبي صلى الله عليه وسلم (١٤٥٦) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه .، وفي الزوائد : إسناده صحيح رجاله ثقات ، ورواه البيهقي في دلائل النبوة .

[٩٨] رواه أبو داود في الجنائز باب كم يدخل القبر (٢٧٩٤) وصححه الألباني في صحيح أب داود

[٩٩] عون المعبود (١٩٧/٧)

قال ابن كثير : وقال محمد بن إسحاق:

عن ابن عباس قال :

لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخل الرجال فصلوا عليه بغير إمام أرسالا حتى فرغوا، ثم أدخل النساء فصلين عليه، ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه، ثم أدخل العبيد فصلوا عليه أرسالا، لم يأمهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .[١٠٠]

قال ابن كثير :

وهذا الصنيع، وهو صلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحد عليه أمر مجمع عليه لا خلاف فيه، وقد اختلف في تعليله.

وقال :

فدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوسط الليل ليلة الأربعاء ، ونزل في حفرته علي بن أبي طالب والفضل وقثم ابنا عباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم.[١٠١]

---

[١٠٠] رواه ابن هشام في السيرة ج ٤ / ٣١٤ ، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/٢٥٠) .

[١٠١] البداية والنهاية .

دفن النبي

صلوات الله وسلامه عليه

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

((لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنه ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ قَالَ : مَا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ ، ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِه))[1]

فكان الأمر كما أخبر الصديق رضي الله عنه ، فقام الصحابة برفع فراش النبي صلى الله عليه وسلم وحفروا في نفس الموضع القبر الشريف ، فصارت بذلك أشرف بقعة على وجه الأرض لأنها تضم جسد النبي صلى الله عليه وسلم .

عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قَالَ :

الَّذِي أَلْحَدَ قَبْرَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أَبُو طَلْحَةَ .

وَالَّذِي أَلْقَى الْقَطِيفَةَ تَحْتَهُ شُقْرَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ .

قَالَ جَعْفَرٌ : وَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّه بْنُ أَبِي رَافِعٍ قَالَ سَمِعْتُ شُقْرَانَ يَقُولُ : أَنَا وَاللَّه طَرَحْتُ الْقَطِيفَةَ تَحْتَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فِي الْقَبْرِ))[2]

---

[1] رواه الترمذي في الجنائز (٩٣٩) ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

[2] رواه الترمذي في الجنائز باب الثوب الواحد يلقى تحت الميت في القبر (٩٦٨) ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

وفي تحفة الأحوذي : وَرَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ فِي الْمَغَازِي ، وَالْحَاكِمُ فِي الإِكْلِيلِ مِنْ طَرِيقِهِ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْهُ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ :

((كَانَ شُقْرَانُ حِينَ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُفْرَتِهِ أَخَذَ قَطِيفَةً قَدْ كَانَ يَلْبَسُهَا وَيَفْتَرِشُهَا فَدَفَنَهَا مَعَهُ فِي الْقَبْرِ ، وَقَالَ : وَاَللَّهِ لا يَلْبَسُهَا أَحَدٌ بَعْدَكَ فَدُفِنَتْ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[1]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ :

((لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَلْحَدُ وَآخَرُ يَضْرَحُ فَقَالُوا : نَسْتَخِيرُ رَبَّنَا وَنَبْعَثُ إِلَيْهِمَا فَأَيُّهُمَا سُبِقَ تَرَكْنَاهُ ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِمَا فَسَبَقَ صَاحِبُ اللَّحْدِ ، فَلَحَدُوا لِلنَّبِيِّ))[2]

اللحد : هو حفرة مائلة داخل القبر يوضع فيها الميت

الشق : قبر في وسطه حفره وعلى حافتيه لَبِن .

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

((لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَلَفُوا فِي اللَّحْدِ وَالشَّقِّ حَتَّى تَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ ، فَقَالَ عُمَرُ : لا تَصْخَبُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيًّا وَلا مَيِّتًا ، فَأَرْسَلُوا إِلَى الشَّقَّاقِ وَاللاَّحِدِ جَمِيعًا ، فَجَاءَ اللاَّحِدُ فَلَحَدَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ دُفِنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[3]

---

[1] تحفة الأحوذي (٣/١٠٨)

[2] رواه ابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في الشق (١٥٤٦) ، وأحمد (١١٩٦٥) ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ، وقال السندي في شرح ابن ماجه : إسناده صحيح .

[3] رواه ابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في الشق (١٥٤٧) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه ، وفي الزوائد : إسناده صحيح رجاله ثقات .

وقد صح الحديث : (اللَّحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ لِغَيْرِنَا)
قَالَ التُّورِبَشْتِيُّ : أَيْ اللَّحْدُ آثَرَ وَأَوْلَى لَنَا ، وَالشَّقُّ آثَرَ وَأَوْلَى لِغَيْرِنَا ، أَيْ هُوَ اخْتِيَارُ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَفِي ذَلِكَ بَيَانُ فَضِيلَةِ اللَّحْدِ وَلَيْسَ فِيهِ نَهْيٌ عَنْ الشَّقِّ لِأَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ فِي الدِّينِ وَالْأَمَانَةِ كَانَ يَصْنَعُهُ وَلِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَنْهِيًّا لَمَا قَالَتْ الصَّحَابَةُ أَيُّهُمَا جَاءَ أَوَّلًا عَمِلَ عَمَلَهُ ، وَلِأَنَّهُ قَدْ يُضْطَرُّ إلَيْهِ لِرَخَاوَةِ الْأَرْضِ .[1]

عَنْ سَعْد بن أبي وقاص أنه قَالَ في مرضه :
((الْحَدُوا لِي لَحْدًا وَانْصِبُوا عَلَيَّ اللَّبِنَ نَصْبًا كَمَا صُنِعَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[2]

قال ابن كثير :
وولي دفنه عليه الصلاة والسلام وإجنانه دون الناس أربعة :
علي والعباس والفضل وصالح مولى النبي صلى الله عليه وسلم
ولحد للنبي صلى الله عليه وسلم لحدًا، ونصب عليه اللبن نصبًا .
وذكر البيهقي عن بعضهم: أنه نصب على لحده عليه السلام تسع لبنات.[3]

[1] تحفة الأحوذي (٣/١٠٦)
[2] رواه مسلم في الجنائز (١٦٠٦) ، وأحمد (١٣٧٢) ، والنسائي في الجنائز (١٩٨٠) ، وابن ماجه في الجنائز (١٥٤٥) .
[3] البداية والنهاية .

آخر من لمس جسد النبي
صلى الله عليه وسلم

عَنْ أَبِي عَسِيبٍ رضي الله عنه قال :

((إِنَّهُ شَهِدَ الصَّلاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا : كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْهِ ؟ قَالَ : ادْخُلُوا أَرْسَالاً أَرْسَالاً ، قَالَ : فَكَانُوا يَدْخُلُونَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْ الْبَابِ الآخَرِ ، قَالَ : فَلَمَّا وُضِعَ فِي لَحْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمُغِيرَةُ : قَدْ بَقِيَ مِنْ رِجْلَيْهِ شَيْءٌ لَمْ يُصْلِحُوهُ ، قَالُوا : فَادْخُلْ فَأَصْلِحْهُ فَدَخَلَ وَأَدْخَلَ يَدَهُ فَمَسَّ قَدَمَيْهِ ، فَقَالَ : أَهِيلُوا عَلَيَّ التُّرَابَ فَأَهَالُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ حَتَّى بَلَغَ أَنْصَافَ سَاقَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ فَكَانَ يَقُولُ : أَنَا أَحْدَثُكُمْ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[1]

هذا وقد روى الإمام أحمد عن علي أنه أنكر أن يكون المغيرة آخر الناس عهدًا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أنه : قثم بن العباس .

قلت : حديث المغيرة أصح ، كما أن الإثبات مقدم على النفي ، فيقدم حديث المغيرة كما أنه يمكن الجمع بين الحديثين فإن بعض العلماء صحح حديث علي ، بأن علي ظن أن قثم هو آخرهم عهدًا بالرسول صلى الله عليه وسلم فحكى عما رآه وشاهده .

ولكن حديث المغيرة فيه أنه بعد ما لمس النبي صلى الله عليه وسلم آهال الناس التراب وهو واقف في القبر حتى وصل التراب إلى أنصاف ساقي المغيرة ، فكان لا مجال بعد ذلك لأحد من لمسه صلى الله عليه وسلم .

---

[1] رواه أحمد (١٩٨٣٨) وقال الزين في المسند (٣١٥/١٥) : إسناده صحيح رجاله ثقات مشاهير ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٨/٤) رواه أحمد ورجال أحمد رجال الصحيح .

فالراجح إن شاء الله تعالى أن المغيرة هو آخر من لمس جسد النبي الشريف صلى الله عليه وسلم .

قلت : وفي كون المغيرة هو آخر من لمس النبي صلى الله عليه وسلم ، حكمة عظيمة ، وجزاء من الله تعالى له عن فعله يوم صلح الحديبية .

ففي حديث صلح الحديبية عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، لما جاء عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ فَقَالَ للنبي صلى الله عليه وسلم :

((أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ وَإِنْ تَكُنْ الأُخْرَى فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَى وُجُوهًا وَأَرَى أَوْبَاشًا مِنْ النَّاسِ خُلُقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : امْصُصْ بَظْرَ اللاتِ نَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ ؟! فَقَالَ : مَنْ ذَا ؟ قَالُوا : أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لأَجَبْتُكَ .

وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُلَّمَا كَلَّمَهُ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ وَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَصْلِ السَّيْفِ وَقَالَ : أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَرَفَعَ عُرْوَةُ يَدَهُ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، قَالَ : أَيْ غُدَرُ أَوَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ .

وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا الإِسْلامُ فَأَقْبَلُ وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ .

ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنِهِ قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُخَامَةً إِلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ

بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ .

فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَيْ قَوْمِ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهِ إِنْ يَتَنَخَّمُ نُخَامَةً إِلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ))[1]

فكما أن المغيرة منع عروة من لمس النبي صلى الله عليه وسلم ، جزاه الله من جنس عمله بأن رزقه الشرف بكونه آخر من لمس جسد النبي صلى الله عليه وسلم .. وهذه نكتة عزيزة ..فتأمل.

[1] رواه البخاري في الحج (١٦٩٥)،والنسائي في الحج (٢٧٢١) ، وأبو داود في الجهاد (٢٣٨٤) ، وأحمد (١٨١٦٦) واللفظ له

وقت وفاة الرسول ووقت دفن جسده الشريف

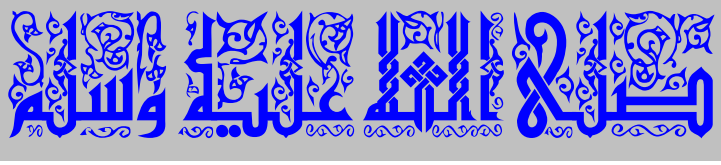

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

((تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَدُفِنَ لَيْلَةَ الأَرْبِعَاءِ))[٢]

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

((مَا عَلِمْنَا بِدَفْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَمِعْتُ صَوْتَ الْمَسَاحِي مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لَيْلَةَ الأَرْبِعَاءِ))[٣]

قال الحافظ في الفتح :

وَكَانَتْ وَفَاته يَوْم الاثْنَيْنِ بِلا خِلاف مِنْ رَبِيع الأَوَّل وَكَادَ يَكُون إِجْمَاعًا

قال ابن كثير :

لا خلاف أنه عليه السلام توفي يوم الاثنين .

وقال عروة بن الزبير في مغازيه وموسى بن عقبة عن ابن شهاب :

لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه أرسلت عائشة إلى أبي بكر، وأرسلت حفصة إلى عمر، وأرسلت فاطمة إلى علي، فلم يجتمعوا حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صدر عائشة وفي يومها: يوم الاثنين حين زاغت الشمس لهلال ربيع الأول.

---

[٢] رواه أحمد (٢٣٦٤٦) وقال الزين في المسند (١٧/٤٢٩) : إسناده صحيح .

[٣] رواه أحمد (٢٣١٩٧) وقال الزين في المسند (١٧/٣٠٠) إسناده صحيح .

قال أنس :

آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله يوم الاثنين كشف الستارة والناس خلف أبي بكر فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف (مر الحديث)

وهذا الحديث في الصحيح وهو يدل على أن الوفاة وقعت بعد الزوال ، والله أعلم.

وروى يعقوب بن سفيان : عن الأوزاعي أنه قال: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين قبل أن ينتصف النهار.

وقال البيهقي:

عن سليمان بن طرخان التيمي في كتاب المغازي قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض لاثنتين وعشرين ليلة من صفر، وبدأه وجعه عند وليدة له، يقال لها ريحانة، كانت من سبي اليهود، وكان أول يوم مرض فيه يوم السبت، وكانت وفاته عليه السلام اليوم العاشر يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول لتمام عشر سنين من مقدمه عليه السلام المدينة

وقال محمد ين سعد :

وقالوا بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر وتوفي يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول ، ودفن يوم الثلاثاء.

وقال محمد بن إسحاق:

توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، في اليوم الذي قدم فيه المدينة مهاجرا، واستكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرته عشر سنين كوامل .[٤]

وقال أيضًا : وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحى من ذلك اليوم وقيل عند زوال الشمس ، والله أعلم

وقال أيضًا : والمشهور عن الجمهور ما أسلفناه من أنه عليه السلام توفي يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء ، وهو الذي نص عليه غير واحد من الأئمة سلفا وخلفا .[٥]

---

[٤] البداية والنهاية لابن كثير

قبر الرسول صلى الله عليه وسلم

عَنْ سُفْيَانَ التَّمَّارِ :

((أَنَّهُ رَأَى قَبْرَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مُسَنَّمًا))[٦] .

قَوْله : (عَنْ سُفْيَان التَّمَّار) هُوَ اِبْن دِينَار عَلَى الصَّحِيح ، عُصْفُورِيّ كُوفِيّ . وَهُوَ مِنْ كِبَار أَتْبَاع التَّابِعِينَ ، وَقَدْ لَحِقَ عَصْر الصَّحَابَة ، وَلَمْ أَرَ لَهُ رِوَايَة عَنْ صَحَابِيّ .

قَوْله : (مُسَنَّمًا) أَيْ مُرْتَفِعًا ، زَادَ أَبُو نُعَيْم فِي الْمُسْتَخْرَج " وَقَبْر أَبِي بَكْر وَعُمَر كَذَلِكَ "

وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْمُسْتَحَبّ تَسْنِيم الْقُبُور ، وَهُوَ قَوْل أَبِي حَنِيفَة وَمَالِك وَأَحْمَد وَالْمُزَنِيّ وَكَثِير مِنْ الشَّافِعِيَّة وَادَّعَى الْقَاضِي حُسَيْن اِتِّفَاق الأَصْحَاب عَلَيْهِ .

وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ جَمَاعَة مِنْ قُدَمَاء الشَّافِعِيَّة اِسْتَحَبُّوا التَّسْطِيح كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيّ وَبِهِ جَزَمَ الْمَاوَرْدِيّ وَآخَرُونَ وَقَوْل سُفْيَان التَّمَّار لا حُجَّة فِيهِ كَمَا قَالَ الْبَيْهَقِيُّ لاحْتِمَال أَنَّ قَبْره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ فِي الأَوَّل مُسَنَّمًا ، فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُد وَالْحَاكِم مِنْ طَرِيق الْقَاسِم بْن مُحَمَّد بْن أَبِي بَكْر قَالَ : " دَخَلْت عَلَى عَائِشَة فَقُلْت : يَا أُمَّة اكْشِفِي لِي عَنْ قَبْر رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ ، فَكَشَفَتْ لَهُ عَنْ ثَلاثَة قُبُور لا مُشْرِفَة وَلا لاطِئَة ، مَبْطُوحَة بِبَطْحَاءِ الْعَرْصَة الْحَمْرَاء " زَادَ الْحَاكِم " فَرَأَيْت رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقَدَّمًا ، وَأَبَا بَكْر رَأْسه بَيْن كَتِفَيْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعُمَر رَأْسه عِنْد رِجْلَيْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " وَهَذَا كَانَ فِي خِلافَة مُعَاوِيَة ، فَكَأَنَّهَا كَانَتْ فِي الأَوَّل مُسَطَّحَة ، ثُمَّ لَمَّا بُنِيَ جِدَار الْقَبْر فِي إِمَارَة عُمَر بْن عَبْد الْعَزِيز عَلَى الْمَدِينَة مِنْ قِبَل الْوَلِيد بْن عَبْد الْمَلِك صَيَّرُوهَا مُرْتَفِعَة .

وَقَدْ رَوَى أَبُو بَكْر الآجُرِّيّ فِي " كِتَاب صِفَة قَبْر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مِنْ طَرِيق إِسْحَاق بْن عِيسَى اِبْن بِنْت دَاوُد بْن أَبِي هِنْد عَنْ غُنَيْم بْن بِسْطَام الْمَدِينِيّ قَالَ :

---

[٥] البداية والنهاية .

[٦] رواه البخاري في كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٣٩٠) .

رَأَيْت قَبْر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِمَارَة عُمَر بْن عَبْد الْعَزِيز فَرَأَيْته مُرْتَفِعًا نَحْوًا مِنْ أَرْبَع أَصَابِع ، وَرَأَيْت قَبْر أَبِي بَكْر وَرَاء قَبْره ، وَرَأَيْت قَبْر عُمَر وَرَاء قَبْر أَبِي بَكْر أَسْفَل مِنْهُ . ثُمَّ الاخْتِلاف فِي ذَلِكَ فِي أَيّهمَا أَفْضَل لا فِي أَصْل الْجَوَاز ، وَرَجَّحَ الْمُزَنِيِّ التَّسْنِيم مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى بِأَنَّ الْمُسَطَّح يُشْبِه مَا يُصْنَع لِلْجُلُوسِ بِخِلاف الْمُسَنَّم ، وَرَجَّحَهُ اِبْن قُدَامَةَ بِأَنَّهُ يُشْبِه أَبْنِيَة أَهْل الدُّنْيَا وَهُوَ مِنْ شِعَار أَهْل الْبِدَع فَكَانَ التَّسْنِيم أَوْلَى .

وَيُرَجِّح التَّسْطِيح مَا رَوَاهُ مُسْلِم مِنْ حَدِيث فَضَالَة بْن عُبَيْد أَنَّهُ أَمَرَ بِقَبْرٍ فَسُوِّيَ ، ثُمَّ قَالَ : " سَمِعْت رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُر بِتَسْوِيَتِهَا " .

سنه صلى الله عليه وسلم عند وفاته

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ))[٧] .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :

((بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَرْبَعِينَ سَنَةً فَمَكُثَ بِمَكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ))[٨] .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

((وُلِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ ، وَاسْتُنْبِئَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ ، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ ، وَخَرَجَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَرَفَعَ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ))[٩]

تركة النبي صلى الله عليه وسلم

مات صلى الله عليه وسلم ولم يترك شيئًا

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

((مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وَلا شَاةً وَلا بَعِيرًا وَلا أَوْصَى بِشَيْءٍ))[١٠]

---

[٧] رواه البخاري في المناقب باب وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٥٣٦) ، ومسلم في الفضائل (٤٣٣٢) ، والترمذي في المناقب (٣٥٨٧) .

[٨] رواه البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه إلى المدينة (٣٩٠٢) .

[٩] رواه أحمد (٢٣٧٦) ، وقال أحمد شاكر في المسند (١٣٩/٣) : إسناده صحيح ، وذكره ابن كثير في التاريخ (٢٥٩/٢) وقال تفرد به أحمد ، وهو في مجمع الزوائد ونسبه لأحمد والطبراني في الكبير .

[١٠] رواه مسلم في الوصية باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه (٣٠٨٧) ، والنسائي في الوصايا (٣٥٦٣) ، وابن ماجه في الوصايا (٢٦٨٥) ، وأحمد (٢٣٠٤٧) .

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ خَتَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخِي جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ قَالَ :

((مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا وَلا دِينَارًا وَلا عَبْدًا وَلا أَمَةً وَلا شَيْئًا إِلا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ ، وَسِلاحَهُ ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً))[11]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((لا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ))[12]

قال ابن كثير : .. النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شاة ولا بعيرا ولا شيئا يورث عنه، بل أرضا جعلها كلها صدقة لله عز وجل.

فإن الدنيا بحذافيرها كانت أحقر عنده – كما هي عند الله – من أن يسعى لها أو يتركها بعده ميراثا صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين.ا.هـ[13]

بل مات ودرعه مرهونة صلوات ربي وسلامه عليه :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ :

((تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ))[14]

---

[11] رواه البخاري في الوصايا (٢٥٣٤) ، والنسائي في الأحباس (٣٥٣٨) ، وأحمد (١٧٧٣٠) .

[12] رواه البخاري في الوصايا (٢٥٦٩) ، ومسلم في الجهاد والسير (٣٣٠٧) ، وأبو داود في الخراج (٢٥٨٣) ، وأحمد (٧٠٠٢) ، ومالك في الموطأ (١٥٧٨)

[13] البداية والنهاية

[14] رواه البخاري في الجهاد والسير باب ما قيل في درع النبي صلىالله عليه وسلم (٢٧٠٠) ، ومسلم في المساقاة (٣٠٠٩) ، والنسائي في البيوع (٤٥٣٠) ، وابن ماجه في الأحكام (٢٤٢٧) ، وأحمد (٢٣٠١٧)

قال الحافظ : الْيَهُودِيّ هُوَ : (أَبُو الشَّحْمِ) ، بَيَّنَهُ الشَّافِعِيّ ثُمَّ الْبَيْهَقِيّ مِنْ طَرِيقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّد عَنْ أَبِيه " أَنَّ النَّبِيَّ صلىالله عليه وسلم رَهَنَ دِرْعًا لَهُ عِنْد أَبِي الشَّحْمِ الْيَهُودِيِّ رَجُل مِنْ بَنِي ظَفَر فِي شَعِير " انْتَهَى .
وَأَبُو الشَّحْمِ : اِسْمه كُنْيَته ، وَظَفَر : بَطْن مِنْ الأَوْس وَكَانَ حَلِيفًا لَهُمْ .

وَفِيهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم مِنْ التَّوَاضُعِ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالتَّقَلُّلِ مِنْهَا مَعَ قُدْرَته عَلَيْهَا ، وَالْكَرَمِ الَّذِي أَفْضَى بِهِ إِلَى عَدَمِ الاِدِّخَارِ حَتَّى اِحْتَاجَ إِلَى رَهْنِ دِرْعه ، وَالصَّبْرِ عَلَى ضِيقِ الْعَيْشِ وَالْقَنَاعَةِ بِالْيَسِيرِ .
وَفَضِيلَة لأَزْوَاجه لِصَبْرِهِنَّ مَعَهُ عَلَى ذَلِكَ .
قَالَ الْعُلَمَاء : الْحِكْمَةُ فِي عُدُولِهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ مُعَامَلَة مَيَاسِير الصَّحَابَة إِلَى مُعَامَلَة الْيَهُود :
إِمَّا لِبَيَانِ الْجَوَاز .
أَوْ لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ إِذْ ذَاكَ طَعَام فَاضِل عَنْ حَاجَة غَيْرِهِمْ .
أَوْ خَشِيَ أَنَّهُمْ لا يَأْخُذُونَ مِنْهُ ثَمَنًا أَوْ عِوَضًا فَلَمْ يُرِدْ التَّضْيِيق عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُ لا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ إِذْ ذَاكَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَأَكْثَر مِنْهُ فَلَعَلَّهُ لَمْ يُطْلِعْهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَإِنَّمَا أَطْلَعَ عَلَيْهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُوسِرًا بِهِ مِمَّنْ نَقَلَ ذَلِكَ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ .[١٥]

[١٥] الفتح (١٦٧/٥)

ومات صلى الله عليه وسلم وله ثوب ينسج :

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال :

((توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنَّ نَمِرَةً من صوفٍ تُنسج له))[١٦]

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال :

((توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله جبة صوف في الحياكة))

وفي رواية : ((حلة من أنمار من صوف أسود في الحياكة))[١٧]

موقف الصديق من خبر وفاته صلى الله عليه وسلم

عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ :

((أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عَلَى فَرَسِه مِنْ مَسْكَنِه بِالسُّنْحِ ، حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَلَمْ يُكَلِّمْ النَّاسَ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَتَيَمَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم وَهُوَ مُسَجًّى بِبُرْدِ حِبَرَةٍ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِه ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ ، ثُمَّ بَكَى ، فَقَالَ : بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، لا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا))[١٨] .

عن ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه :

((أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه خَرَجَ وَعُمَرُ رضي الله عنه يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ : اجْلِسْ ، فَأَبَى ، فَقَالَ : اجْلِسْ فَأَبَى ، فَتَشَهَّدَ أَبُو بكر رضي الله عنه ، فَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَتَرَكُوا عُمَرَ فَقَالَ : أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم فَإِنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ .. إِلَى .. الشَّاكِرِينَ} ، وَاللَّهِ

---

[١٦] أخرجه البيهق في الشعب (٢/٢٢٧) ، وقال الألباني في الصحيحة (٢٦٨٧) : إسناده جيد .

[١٧] رواه الطبراني في الكبير (٦/٢١٩/٥٩١٩/٢٩٢٠) من طريقين ، وقال الألباني في الصحيحة (٦/٤٢٣) : إسناده حسن .

[١٨] رواه البخاري في كتاب الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه (١٢٤١) .

لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهَا حَتَّى تَلاهَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ ، فَمَا يُسْمَعُ بَشَرٌ إِلا يَتْلُوهَا))[19] .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ – يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ – فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ وَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلا ذَاكَ وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبَّلَهُ قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَتَيْنِ أَبَدًا ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ : أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ ، فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ وَقَالَ "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ" وَقَالَ "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ" قَالَ : فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ .

قَالَ : وَاجْتَمَعَتْ الأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فَقَالُوا : مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَأَسْكَتَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلامًا قَدْ أَعْجَبَنِي خَشِيتُ أَنْ لا يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ فَقَالَ فِي كَلامِهِ : نَحْنُ الأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ، فَقَالَ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ : لا وَاللَّهِ لا نَفْعَلُ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لا وَلَكِنَّا الأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا فَبَايِعُوا عُمَرَ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ ، فَقَالَ عُمَرُ : بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

[19] رواه البخاري في كتاب الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه (١٢٤٢) .

فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ ، فَقَالَ قَائِلٌ : قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، فَقَالَ عُمَرُ : قَتَلَهُ اللَّهُ))[٢٠] .

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ :

((شَخَصَ بَصَرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى ثَلاثًا وَقَصَّ الْحَدِيثَ قَالَتْ فَمَا كَانَتْ مِنْ خُطْبَتِهِمَا مِنْ خُطْبَةٍ إِلا نَفَعَ اللَّهُ بِهَا لَقَدْ خَوَّفَ عُمَرُ النَّاسَ وَإِنَّ فِيهِمْ لَنِفَاقًا فَرَدَّهُمْ اللَّهُ بِذَلِكَ ، ثُمَّ لَقَدْ بَصَّرَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ الْهُدَى وَعَرَّفَهُمْ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ وَخَرَجُوا بِهِ يَتْلُونَ "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ إِلَى الشَّاكِرِينَ"))[٢١] .

تأثر الصحابة وبكاءهم عليه صلى الله عليه وسلم

قال ابن رجب :

لما توفي صلى الله عليه وسلم اضطرب المسلمون ، فمنهم من دهش فخولط ، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ، ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال : إنما بعث إليه .[٢٢]

عَنْ أَبِي ذُؤَيْبٍ الْهُذَلِيِّ قَالَ :

((قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَلأَهْلِهَا ضَجِيجٌ بِالْبُكَاءِ كَضَجِيجِ الْحَجِيجِ ، فَقُلْتُ مَهْ ؟ فَقَالُوا . قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[٢٣] .

---

[٢٠] رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "لو كنت متخذًا خليلاً" (٣٦٦٧-٣٦٦٨) .

[٢١] رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "لو كنت متخذًا خليلاً" (٣٦٦٩-٣٦٧٠) .

[٢٢] لطائف المعارف (١١٣) .

[٢٣] ذكره الحافظ في فتح الباري (٨/٤٤٤) .

عَنْ أَنَسٍ :

((أَنَّ فَاطِمَةَ بَكَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ مَاتَ فَقَالَتْ : يَا أَبَتَاهُ مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ .. يَا أَبَتَاهُ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ .. يَا أَبَتَاهُ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ))[٢٤]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ :

((لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ ، وَلَمَّا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأَيْدِي ، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا))

وَأَخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ بِلَفْظ :

((مَا رَأَيْت يَوْمًا قَطُّ كَانَ أَحْسَنَ وَلا أَضْوَءَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا رَأَيْت يَوْمًا كَانَ أَقْبَحَ وَلا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) [٢٥] .

عن الْمُثَنَّى قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ :

((قَلَّ لَيْلَةٌ تَأْتِي عَلَيَّ إِلا وَأَنَا أَرَى فِيهَا خَلِيلِي عَلَيْهِ السَّلام ، وَأَنَسٌ يَقُولُ ذَلِكَ وَتَدْمَعُ عَيْنَاهُ))[٢٦]

عن أبي سعيد الخدري قال:

لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أضاء منها كل شئ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شئ.[٢٧]

---

[٢٤] رواه البخاري في المغازي بأطول من هنا (٤١٠٣) ، والنسائي في الجنائز باب البكاء على الميت (١٨٢١) واللفظ له ، وابن ماجه في الجنائز (١٦٢٠) ، وأحمد (١٢٥٥٨) ، والدارمي في المقدمة (٨٧) .

[٢٥] رواه الترمذي في المناقب باب فضل النبي صلى الله عليه وسلم (٣٥٥١) وصححه ، وابن ماجه في الجنائز (١٦٢١) ، وأحمد (١٢٨٣٤) ، والدارمي في المقدمة (٨٨) ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

[٢٦] رواه أحمد (١٢٧٩٠) بسند متصل رجاله ثقات ، وقال الزين في المسند (١٣١/١١) : إسناده صحيح .

[٢٧] وقد روى الحافظ الكبير وأبو القاسم بن عساكر وذكره ابن كثير في البداية والنهاية .

عن محمد بن عبدالله بن عمر قَالَ :

((مَا سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَذْكُرُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ إِلا بَكَى))[٢٨]

عَنْ أَنَسٍ قَالَ :

((قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ : انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُهَا ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ ، فَقَالاَ لَهَا : مَا يُبْكِيكِ ، مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : مَا أَبْكِي أَنْ لا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنْ السَّمَاءِ ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ ، فَجَعَلاَ يَبْكِيَانِ مَعَهَا))[٢٩]

قال النووي : فيه الْبُكَاء حُزْنًا عَلَى فِرَاق الصَّالِحِينَ وَالأَصْحَاب ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ انْتَقَلُوا إِلَى أَفْضَل مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ . وَاَللَّه أَعْلَم .[٣٠]

عن ابن عمر قال :

((ما غرست نخلة منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم))[٣١]

قال ابن الأثير : لما انتقل بلال إلى الشام ..

ثم أن بلالاً رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وهو يقول : "ما هذه الجفوة يا بلال ؟ ما آن لك أن تزورنا ؟ " ، فانتبه حزينًا ، فركب إلى المدينة ، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يبكي عنده ، فأقبل الحسن والحسين ، فجعل يقبلهما ويضمهما ، فقالا له : نشتهي أن تؤذن في السحر ، فعلا سطح المسجد فلما قال : " الله أكبر ، الله أكبر " ، ارتجت المدينة ، فلما قال : " أشهد أن لا إله إلا الله " ، زادت

---

[٢٨] رواه الدارمي في المقدمة (٨٦) بسند متصل رجاله ثقات .

[٢٩] رواه مسلم في فضائل الصحابة (٤٤٩٢) ، وابن ماجه في الجنائز (١٦٢٥) والبيهقي في الدلائل .

[٣٠] شرح مسلم

[٣١] رواه البيهقي في الدلائل (٢٦٧/٧)

رجتها ، فلما قال : " أشهد أن محمداً رسول الله " ، خرج النساء من خدورهن ، فما رئي يوم أكثر باكيًا ولا باكية من ذلك اليوم .[٣٢]

قال الذهبي :

وعن سعيد بن عبد العزيز، وابن جابر وغيرهما : أن بلالاً لم يؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأراد الجهاد، فأراد أبو بكر منعه، فقال: إن كنت أعتقتني لله، فخل سبيلي.

قال: فكان بالشام حتى قدم عمر الجابية، فسأل المسلمون عمر أن يسأل لهم بلالاً يؤذن لهم، فسأله، فأذن يوما، فلم ير يوما كان أكثر باكيا من يومئذ، ذكرا منهم للنبي، صلى الله عليه وسلم.

وعن زيد بن أسلم، عن أبيه

قال: قدمنا الشام مع عمر، فأذن بلال، فذكر الناس النبي، صلى الله عليه وسلم، فلم أر يوما أكثر باكيا منه.[٣٣]

قال سعيد بن عبد العزيز:

لما احتضر بلال قال: غدا نلقى الأحبة محمداً وحزبه، قال: تقول امرأته: واويلاه ! فقال: وافرحاه !.[٣٤]

كانت الجمادات تتصدع من فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف بقلوب المؤمنين ، لما فقده الجذع الذي كان يخطب عليه حنَّ إليه وصاح كما يصيح الصبي .

كان الحسن رضي الله عنه يقول :

خشبة تحنُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه .

---

[٣٢] أسد الغابة (٤١٧/١) رواه هكذا بدون إسناد ، وحكاه الذهبي في سير أعلام النبلاء وقال : إسناده فيه لين .

[٣٣] سير أعلام النبلاء (٣٤٧/١) .

[٣٤] السابق .

وفاة النبي صلى الله عليه وسلم هي أعظم المصائب

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

((فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ أَوْ كَشَفَ سِتْرًا فَإِذَا النَّاسُ يُصَلُّونَ وَرَاءَ أَبِي بَكْرٍ فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا رَأَى مِنْ حُسْنِ حَالِهِمْ رَجَاءَ أَنْ يَخْلُفَهُ اللَّهُ فِيهِمْ بِالَّذِي رَآهُمْ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّمَا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي ، فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي))[٣٥]

عن ابن عباس : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ))[٣٦]

قال المناوي : أي يتذكر (مصيبته بي) أي بفقدي من بين أظهر هذه الأمة وانقطاع الوحي والإمداد السماوي (فإنها من أعظم) وفي رواية من أشد (المصائب) بل هي أعظمها بدليل خبر ابن ماجه إن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي

وإنما كانت أعظم المصائب لانقطاع الوحي وظهور الشر بارتداد العرب وتحزب المنافقين وكان موته أول نقصان الخير قال أنس رضي الله تعالى عنه ما نفضنا أيدينا من التراب من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا ومن أحسن ما كتب بعضهم لأخيه يعزيه بابنه ويسليه قوله :

اصبر لكل ملمة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد

وإذا ذكرت محمداً ومصابه ... فاذكر مصابك بالنبي محمد

مقصود الحديث أن يذكر المصاب وقوع المصيبة العظمى العامة بفقد المصطفى صلى الله عليه وسلم يهون عليه ويسليه .[٣٧]

---

[٣٥] رواه ابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في الصبر علىالمصيبة (١٥٨٨) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٧٩) .

[٣٦] رواه ابن عدي في الكامل ، والبيهقي في شعب الإيمان ، والطبراني في الكبير ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٧) ، ورواه الدارمي مرسلاً .

[٣٧] فيض القدير

قال القرطبي : من أعظم المصائب المصيبة في الدين ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ) وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة ، انقطع الوحي ، وماتت النبوة ، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك ، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه .[٣٨]

معرفة أهل الكتاب بيوم وفاته صلى الله عليه وسلم :

عَنْ جَرِيرٍ قَالَ :

((كُنْتُ بِالْيَمَنِ فَلَقِيتُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ذَا كَلاعٍ وَذَا عَمْرٍو ، فَجَعَلْتُ أُحَدِّثُهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ ذُو عَمْرٍو : لَئِنْ كَانَ الَّذِي تَذْكُرُ مِنْ أَمْرِ صَاحِبِكَ لَقَدْ مَرَّ عَلَى أَجَلِهِ مُنْذُ ثَلاثٍ ، وَأَقْبَلا مَعِي حَتَّى إِذَا كُنَّا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ رُفِعَ لَنَا رَكْبٌ مِنْ قِبَلِ الْمَدِينَةِ فَسَأَلْنَاهُمْ ، فَقَالُوا : قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ وَالنَّاسُ صَالِحُونَ ، فَقَالا : أَخْبِرْ صَاحِبَكَ أَنَّا قَدْ جِئْنَا وَلَعَلَّنَا سَنَعُودُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَرَجَعَا إِلَى الْيَمَنِ

فَأَخْبَرْتُ أَبَا بَكْرٍ بِحَدِيثِهِمْ ، قَالَ : أَفَلا جِئْتَ بِهِمْ .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ قَالَ لِي ذُو عَمْرٍو يَا جَرِيرُ : إِنَّ بِكَ عَلَيَّ كَرَامَةً وَإِنِّي مُخْبِرُكَ خَبَرًا إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا كُنْتُمْ إِذَا هَلَكَ أَمِيرٌ تَأَمَّرْتُمْ فِي آخَرَ فَإِذَا كَانَتْ بِالسَّيْفِ كَانُوا مُلُوكًا يَغْضَبُونَ غَضَبَ الْمُلُوكِ وَيَرْضَوْنَ رِضَا الْمُلُوكِ))[٣٩]

وقال البيهقي: عن جرير قال:

لقيني حبر باليمن وقال لي: إن كان صاحبكم نبيا فقد مات يوم الاثنين، هكذا رواه البيهقي.

---

[٣٨] ذكره الألباني في الصحيحة (١١٠٦) .

[٣٩] رواه البخاري في المغازي باب ذهاب جرير إلى اليمن (٤٠١١) ، وأحمد (١٨٤٢٧) ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية وقال رواه البيهقي ، وهو في الدلائل (٢٧٠/٧) .

وقد قال الامام أحمد: علاقة عن جرير قال :

قال لي حبر باليمن: إن كان صاحبكم نبيا فقد مات اليوم ، قال جرير: فمات يوم الاثنين .

قال الحافظ في الفتح :

فِي رِوَايَة أَبِي إِسْحَاق عَنْ جَرِير عِنْد ابْن عَسَاكِر أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ إِلَى ذِي عَمْرو وَذِي الْكَلاع يَدْعُوهُمَا إِلَى الإِسْلام فَأَسْلَمَا

وَأَنَّ جَرِيرًا قَضَى حَاجَته مِنْ الْيَمَن وَأَقْبَلَ رَاجِعًا يُرِيد الْمَدِينَة فَصَحِبَهُ مِنْ مُلُوك الْيَمَن ذُو الْكَلاع وَذُو عَمْرو ، وَكَانَا عَزَمَا عَلَى التَّوَجُّه إِلَى الْمَدِينَة فَلَمَّا بَلَغَهُمَا وَفَاة النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجَعَا إِلَى الْيَمَن ثُمَّ هَاجَرَا فِي زَمَن عُمَر .

قَوْله : (لَئِنْ كَانَ الَّذِي تَذْكُر مِنْ أَمْر صَاحِبك) أَيْ حَقًّا ، فِي رِوَايَة الإِسْمَاعِيلِيّ " لَئِنْ كَانَ كَمَا تَذْكُر " وَقَوْله : " لَقَدْ مَرَّ عَلَى أَجَله " وَهَذَا قَالَهُ ذُو عَمْرو عَنْ اطِّلاع مِنْ الْكُتُب الْقَدِيمَة لأَنَّ الْيَمَن كَانَ أَقَامَ بِهَا جَمَاعَة مِنْ الْيَهُود فَدَخَلَ كَثِير مِنْ أَهْل الْيَمَن فِي دِينهمْ وَتَعَلَّمُوا مِنْهُمْ .[٤٠]

قال ابن كثير : عن كعب بن عدي : قال:

أقبلت في وفد من أهل الحيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا ثم انصرفنا إلى الحيرة، فلم نلبث أن جاءتنا وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فارتاب أصحابي وقالوا: لو كان نبيا لم يمت.

فقلت: قد مات الأنبياء قبله، وثبت على إسلامي ثم خرجت أريد المدينة، فمررت براهب كنا لا نقطع أمرا دونه، فقلت له: أخبرني عن أمر أردته، نفخ في صدري منه شئ.

فقال: إئت باسم من الأسماء فأتيته بكعب فقال: القه في هذا السفر لسفر أخرجه فألقيت الكعب فيه فصفح فيه، فإذا بصفة النبي صلى الله عليه وسلم كما رأيته وإذا هو يموت في الحين الذي مات فيه، قال: فاشتدت بصيرتي في إيماني، وقدمت على أبي

---

[٤٠] فتح الباري .

بكر رضي الله عنه فأعلمته وقمت عنده، فوجهني إلى المقوقس فرجعت، ووجهني أيضا عن عمر بن الخطاب، فقدمت عليه بكتابه، فأتيته وكانت وقعة اليرموك، ولم أعلم بهـا فقال لي: أعلمت أن الروم قتلت العرب وهزمتهم ؟ فقلت كلا.

قال: ولم ؟ قلت إن الله وعد نبيه أن يظهره على الدين كله وليس بمخلف الميعاد قـال فإن نبيكم قد صدقكم.قتلت الروم والله قتل عاد.

قال: ثم سألني عن وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته وأهدى إلى عمر وإليهم.

وكان ممن أهدى إليه علي وعبد الرحمن والزبير – وأحسبه ذكر العباس – قال كعـب وكنت شريكا لعمر في البز في الجاهلية، فلما أن فرض الديوان فرض لي في بني عـدي بن كعب .

قال ابن كثير : وهذا أثر غريب وفيه نبأ عجيب وهو صحيح .[41]

حديث الكتاب وبيان ما فيه :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :

((لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، فَقَالَ عُمَرُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ ، فَاخْتَصَمُوا ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : مَا قَالَ عُمَرُ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالاخْتِلافَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُومُوا .

فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ))[42]

---

[41] البداية والنهاية (٥/٢٧٨) ، والبيهقي في الدلائل (٧/٢٧١) ، وابن حجر في الإصابة (٣/٢٩٨) وقال أخرجه البغوي .

[42] رواه البخاري في المرضى باب قول المريض قوموا عني (٥٢٣٧) ، ومسلم في الوصية (٣٠٩١) ، وأحمد (٢٨٣٥)

عن سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ :

((يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَّ دَمْعُهُ الْحَصَى ، قُلْتُ : يَا أَبَا عَبَّاسٍ مَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ؟ قَالَ : اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ فَقَالَ ائْتُونِي بِكَتِفٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا ، فَتَنَازَعُوا وَلا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ ، فَقَالُوا : مَا لَهُ أَهَجَرَ ؟ اسْتَفْهِمُوهُ ، فَقَالَ : ذَرُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ، فَأَمَرَهُمْ بِثَلاثٍ قَالَ : أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ ، وَالثَّالِثَةُ خَيْرٌ إِمَّا أَنْ سَكَتَ عَنْهَا وَإِمَّا أَنْ قَالَهَا فَنَسِيتُهَا قَالَ سُفْيَانُ هَذَا مِنْ قَوْلِ سُلَيْمَانَ))[٤٣]

قال الحافظ : وَلِمُسْلِمٍ عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر " ثُمَّ جَعَلَ تَسِيل دُمُوعه حَتَّى رَأَيْتهَا عَلَى خَدَّيْهِ كَأَنَّهَا نِظَام اللُّؤْلُؤ " .

وَبُكَاء ابْن عَبَّاس يَحْتَمِل لِكَوْنِهِ تَذَكَّرَ وَفَاة رَسُول اللَّه فَتَجَدَّدَ لَهُ الْحُزْن عَلَيْهِ ، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ مَا فَاتَ فِي مُعْتَقَده مِنْ الْخَيْر الَّذِي كَانَ يَحْصُل لَوْ كَتَبَ ذَلِكَ الْكِتَاب ، وَلِهَذَا أَطْلَقَ فِي الرِّوَايَة الثَّانِيَة أَنَّ ذَلِكَ رَزِيَّة ، ثُمَّ بَالَغَ فِيهَا فَقَالَ : كُلّ الرَّزِيَّة .

(كِتَابًا) قِيلَ هُوَ تَعْيِين الْخَلِيفَة بَعْده

وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون قَوْله أَهْجَرَ فِعْلاً مَاضِيًا مِنْ الْهَجْر بِفَتْحِ الْهَاء وَسُكُون الْجِيم وَالْمَفْعُول مَحْذُوف أَيْ الْحَيَاة ، وَذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي مُبَالَغَة لِمَا رَأَى مِنْ عَلَامَات الْمَوْت .

قُلْت : وَيَظْهَر لِي تَرْجِيح ثَالِث الاحْتِمَالات الَّتِي ذَكَرَهَا الْقُرْطُبِيّ وَيَكُون قَائِل ذَلِكَ بَعْض مَنْ قَرُبَ دُخُوله فِي الإِسْلام وَكَانَ يَعْهَد أَنَّ مَنْ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَع قَدْ يَشْتَغِل بِهِ عَنْ تَحْرِير مَا يُرِيد أَنْ يَقُولهُ لِجَوَازِ وُقُوع ذَلِكَ ، وَلِهَذَا وَقَعَ فِي الرِّوَايَة الثَّانِيَة " فَقَالَ بَعْضهمْ إِنَّهُ قَدْ غَلَبَهُ الْوَجَع "

وَفِي قَوْله فِي الرِّوَايَة الثَّانِيَة : " فَاخْتَصَمُوا فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُول قَرِّبُوا يَكْتُب لَكُمْ " مَا يُشْعِر بِأَنَّ بَعْضهمْ كَانَ مُصَمِّمًا عَلَى الامْتِثَال وَالرَّدّ عَلَى مَنْ امْتَنَعَ مِنْهُمْ ، وَلَمَّا وَقَعَ

---

[٤٣] رواه البخاري في الجزية باب إخراج اليهود من جزيرة العرب (٢٩٣٢) ، ومسلم في الوصية (٣٠٨٩) ، وأحمد (١٨٣٤) .

مِنْهُمْ الاخْتِلاف ارْتَفَعَتْ الْبَرَكَة كَمَا جَرَتْ الْعَادَة بِذَلِكَ عِنْد وُقُوع التَّنَازُع وَالتَّشَاجُر .

قَالَ الْمَازِرِيُّ : إِنَّمَا جَازَ لِلصَّحَابَة الاخْتِلاف فِي هَذَا الْكِتَاب مَعَ صَرِيح أَمْره لَهُمْ بِذَلِكَ لأَنَّ الأَوَامِر قَدْ يُقَارِنهَا مَا يَنْقُلهَا مِنْ الْوُجُوب ، فَكَأَنَّهُ ظَهَرَتْ مِنْهُ قَرِينَة دَلَّتْ عَلَى أَنَّ الأَمْر لَيْسَ عَلَى التَّحَتُّم بَلْ عَلَى الاخْتِيَار فَاخْتَلَفَ اجْتِهَادهمْ ، وَصَمَّمَ عُمَر عَلَى الامْتِنَاع لِمَا قَامَ عِنْده مِنْ الْقَرَائِن بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَلِكَ عَنْ غَيْر قَصْد جَازِم

وَعَزْمه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِمَّا بِالْوَحْيِ وَإِمَّا بِالاجْتِهَادِ ، وَكَذَلِكَ تَرْكه إِنْ كَانَ بِالْوَحْيِ فَبِالْوَحْيِ وَإِلا فَبِالاجْتِهَاد أَيْضًا

وَقَالَ النَّوَوِيّ : اتَّفَقَ قَوْل الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ قَوْل عُمَر " حَسْبنَا كِتَاب اللَّه " مِنْ قُوَّة فِقْهه وَدَقِيق نَظَره ، لأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَكْتُب أُمُورًا رُبَّمَا عَجَزُوا عَنْهَا فَاسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَة لِكَوْنِهَا مَنْصُوصَة ، وَأَرَادَ أَنْ لا يَنْسَدّ بَاب الاجْتِهَاد عَلَى الْعُلَمَاء . وَفِي تَرْكه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإِنْكَار عَلَى عُمَر إِشَارَة إِلَى تَصْوِيبه رَأْيه .

وَأَشَارَ بِقَوْلِه : " حَسْبنَا كِتَاب اللَّه " إِلَى قَوْله تَعَالَى : (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَاب مِنْ شَيْء) . وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون قَصَدَ التَّخْفِيف عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى مَا هُوَ فِيهِ مِنْ شِدَّة الْكَرْب ، وَقَامَتْ عِنْده قَرِينَة بِأَنَّ الَّذِي أَرَادَ كِتَابَته لَيْسَ مِمَّا لا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ ، إِذْ لَوْ كَانَ مِنْ هَذَا الْقَبِيل لَمْ يَتْرُكهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَجْلِ اخْتِلافهمْ

وَلا يُعَارِض ذَلِكَ قَوْل ابْن عَبَّاس إِنَّ الرَّزِيَّة إِلَخْ ، لأَنَّ عُمَر كَانَ أَفْقَه مِنْهُ قَطْعًا .

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : لَمْ يَتَوَهَّم عُمَر الْغَلَط فِيمَا كَانَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيد كِتَابَته ، بَلْ امْتِنَاعه مَحْمُول عَلَى أَنَّهُ لَمَّا رَأَى مَا هُوَ فِيهِ مِنْ الْكَرْب وَحُضُور الْمَوْت خَشِيَ أَنْ يَجِد الْمُنَافِقُونَ سَبِيلاً إِلَى الطَّعْن فِيمَا يَكْتُبهُ وَإِلَى حَمْله عَلَى تِلْكَ الْحَالَة الَّتِي جَرَتْ الْعَادَة فِيهَا بِوُقُوعِ بَعْض مَا يُخَالِف الاتِّفَاق فَكَانَ ذَلِكَ سَبَب تَوَقُّف عُمَر ، لا أَنَّهُ تَعَمَّدَ مُخَالَفَة قَوْل النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلا جَوَاز وُقُوع الْغَلَط عَلَيْهِ حَاشَا وَكَلا .

قَوْله (فَقَالَ دَعُونِي : فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْر مِمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) قَالَ ابْن الْجَوْزِيّ وَغَيْره :
ـــ يَحْتَمِل أَنْ يَكُون الْمَعْنَى دَعُونِي فَالَّذِي أُعَاينهُ مِنْ كَرَامَة اللَّه الَّتِي أَعَدَّهَا لِي بَعْد فِرَاق الدُّنْيَا خَيْر مِمَّا أَنَا فِيهِ فِي الْحَيَاة
ـــ أَوْ أَنَّ الَّذِي أَنَا فِيهِ مِنْ الْمُرَاقَبَة وَالتَّأَهُّب لِلقَاءِ اللَّه وَالتَّفَكُّر فِي ذَلِكَ وَنَحْوه أَفْضَل مِنْ الَّذِي تَسْأَلُونَنِي فِيهِ مِنْ الْمُبَاحَثَة عَنْ الْمَصْلَحَة فِي الْكِتَابَة أَوْ عَدَمهَا .
ـــ وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون الْمَعْنَى فَإِنَّ اِمْتِنَاعِي مِنْ أَنْ أَكْتُب لَكُمْ خَيْر مِمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ مِنْ الْكِتَابَة .
قُلْت : وَيَحْتَمِل عَكْسه أَيْ الَّذِي أَشَرْت عَلَيْكُمْ بِهِ مِنْ الْكِتَابَة خَيْر مِمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ مِنْ عَدَمهَا بَلْ هَذَا هُوَ الظَّاهِر .

وَعَلَى الَّذِي قَبْله كَانَ ذَلِكَ الأَمْر اِخْتِبَارًا وَاِمْتِحَانًا فَهَدَى اللَّه عُمَر لِمُرَادِهِ وَخَفِيَ ذَلِكَ عَلَى غَيْره

قَوْله : (وَأَوْصَاهُمْ بِثَلاث) أَيْ فِي تِلْكَ الْحَالَة ، وَهَذَا يَدُلّ عَلَى أَنَّ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَكْتُبهُ لَمْ يَكُنْ أَمْرًا مُتَحَتِّمًا لأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِمَّا أُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ لَمْ يَكُنْ يَتْرُكهُ لِوُقُوعِ اِخْتِلافهمْ ، وَلَعَاقَبَ اللَّه مَنْ حَالَ بَيْنه وَبَيْن تَبْلِيغه ، وَلَبَلَّغَهُ لَهُمْ لَفْظًا كَمَا أَوْصَاهُمْ بِإِخْرَاجِ الْمُشْرِكِينَ وَغَيْر ذَلِكَ ، وَقَدْ عَاشَ بَعْد هَذِهِ الْمَقَالَة أَيَّامًا وَحَفِظُوا عَنْهُ أَشْيَاء لَفْظًا ، فَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون مَجْمُوعهَا مَا أَرَادَ أَنْ يَكْتُبهُ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ .
وَقَوْله : " أَجِيزُوا الْوَفْد " أَيْ أَعْطُوهُمْ ، وَالْجَائِزَة الْعَطِيَّة ، وَقِيلَ أَصْله أَنَّ نَاسًا وَفَدُوا عَلَى بَعْض الْمُلُوك وَهُوَ قَائِم عَلَى قَنْطَرَة فَقَالَ : أَجِيزُوهُمْ فَصَارُوا يُعْطُونَ الرَّجُل وَيُطْلِقُونَهُ فَيَجُوز عَلَى الْقَنْطَرَة مُتَوَجِّهًا فَسُمِّيَتْ عَطِيَّة مَنْ يَقْدَم عَلَى الْكَبِير جَائِزَة ، وَتُسْتَعْمَل أَيْضًا فِي إِعْطَاء الشَّاعِر عَلَى مَدْحه وَنَحْو ذَلِكَ . وَقَوْله بِنَحْوِ : " مَا كُنْت أُجِيزهُمْ " أَيْ بِقَرِيبٍ مِنْهُ ، وَكَانَتْ جَائِزَة الْوَاحِد عَلَى عَهْده صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُقِيَّة مِنْ فِضَّة وَهِيَ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا .

قَوْله : (وَسَكَتَ عَنْ الثَّالِثَة أَوْ قَالَ : فَنَسِيتهَا) قَالَ سُلَيْمَان أَيْ اِبْن أَبِي مُسْـــلِم : لا أَدْرِي أَذَكَرَ سَعِيد بْن جُبَيْر الثَّالِثَة فَنَسِيتهَا أَوْ سَكَتَ عَنْهَا . وَهَذَا هُوَ الأَرْجَح .
قَالَ الدَّاوُدِيُّ : الثَّالِثَة الْوَصِيَّة بِالْقُرْآن ، وَبِهِ جَزَمَ اِبْن التِّين .
وَقَالَ الْمُهَلَّب : بَلْ هُوَ تَجْهِيز جَيْش أُسَامَة ، وَقَوَّاهُ اِبْن بَطَّال بِأَنَّ الصَّحَابَة لَمَّا اِخْتَلَفُوا عَلَى أَبِي بَكْر فِي تَنْفِيذ جَيْش أُسَامَة قَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْر : إِنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهِدَ بِذَلِكَ عِنْد مَوْته .
وَقَالَ عِيَاض : يَحْتَمِل أَنْ تَكُون هِيَ قَوْله : " وَلا تَتَّخِذُوا قَبْرِي وَثَنًا " فَإِنَّهَا ثَبَتَتْ فِـــي الْمُوَطَّأ مَقْرُونَة بِالأَمْرِ بِإِخْرَاجِ الْيَهُود ، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون مَا وَقَعَ فِي حَدِيث أَنَس أَنَّهَا قَوْله : " الصَّلاة وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانكُمْ " .[٤٤]

قال ابن كثير : وهذا الحديث مما قد توهم به بعض الأغبياء من أهل البدع من الشيعة وغيرهم كل مدع أنه كان يريد أن يكتب في ذلك الكتاب ما يرمون إليه من مقالاتهم، وهذا هو التمسك بالمتشابه ، وترك المحكم وأهل السنة يأخذون بالمحكم ، ويردون ما تشابه إليه، وهذه طريقة الراسخين في العلم كما وصفهم الله عز وجل في كتابه، وهذا الموضع مما زل فيه أقدام كثير من أهل الضلالات، وأما أهل السنة فليس لهم مذهب إلا اتباع الحق يدورون معه كيفما دار، وهذا الذي كان يريد عليه الصلاة والســـلام أن يكتبه قد جاء في الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه.
فإنه قد قال روى أحمد : عن عائشة قالت : ((لما كان وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قبض فيه قال : ادعوا لي أبا بكر وابنه لكي لا يطمع في أمر أبي بكر طامع ولا يتمناه متمن ، ثم قال : يأبى الله ذلك والمؤمنون ، مرتين ، قالت عائشة: فـــأبى الله ذلك والمؤمنون))
وروى أحمد عن عائشة قالت : ((لما ثقل رسول الله قال لعبد الرحمن بن أبي بكـــر: " ائتني بكتف أو لوح حتى أكتب لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه أحد، فلما ذهب عبـــد الرحمن ليقوم ، قال: " أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر))

[٤٤] فتح الباري باختصار .

وروى البخاري : عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى متمنون ، فقال: يأبى الله – أو يدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون.

وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه ، قال: أتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه ، فقالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك – كأنها تقول الموت – قال: " إن لم تجديني فأت أبا بكر ".

والظاهر والله أعلم أنها إنما قالت ذلك له عليه السلام في مرضه الذي مات فيه صلوات الله وسلامه عليه، وقد خطب عليه الصلاة والسلام في يوم الخميس قبل أن يقبض عليه السلام بخمس أيام خطبة عظيمة بين فيها فضل الصديق من سائر الصحابة مع ما كان قد نص عليه أن يؤم الصحابة أجمعين ، ولعل خطبته هذه كانت عوضا عما أراد أن يكتبه في الكتاب .[٤٥]

وما أجمل ما بوب به البيهقي رحمه الله في الدلائل لحديث ابن عباس حيث قال :
" باب : ما جاء في همه صلى الله عليه وسلم بأن يكتب لأصحابه كتابًا حين اشتد به الوجع يوم الخميس ، ثم بدا له اعتمادًا على ما وعده اله تعالى من حفظ دينه وإظهار أمره صلى الله عليه وسلم " .[٤٦]

---

[٤٥] البداية والنهاية

[٤٦] دلائل النبوة (١٨١/٧) .

قصيدة حسان بن ثابت رضي الله عنه في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم

بِطَيْبَـــةَ رَسْـــمٌ لِلرّسُـــولِ وَمَعْهَـــدُ ... مُنِـــيرٌ وَقَـــدْ تَعْفُـــو الرّسُـــومُ وَتَهْمُـــدُ

وَلا تَمْتَحِي الآيَاتُ مِـــنْ دَارِ حُرْمَـــةٍ ... بِهَا مِنْبَرُ الْهَادِي الّـــذِي كَـــانَ يَصْـــعَدُ

وَوَاضِـــحُ آثَـــارٍ وَبَـــاقِي مَعَـــالِمَ ... وَرَبْـــعٌ لَـــهُ فِيـــهِ مُصَـــلّى وَمَسْـــجِدُ

بِهَا حُجُرَاتٌ كَانَ يَنْـــزِلُ وَسْـــطَهَا ... مِـــنْ اللّـــهِ نُـــورٌ يُسْتَضَـــاءُ وَيُوقَـــدُ

مَعَارِفُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْـــدِ آيُهَا ... أَتَاهَـــا الْبِلَـــى فَـــالآيُ مِنْهَـــا تَجَـــدّدُ

عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرّسُـــولِ وَعَهْـــدَهُ ... وَقَبْرًا بِهَـــا وَارَاهُ فِـــي التّـــرْبِ مُلْحَـــدُ

ظَلَلْت بِهَا أَبْكِي الرّسُولَ فَأَسْـــعَدَتْ ... عُيُونٌ وَمِثْلاَهَـــا مِـــنْ الْجَفْـــنِ تُسْـــعَدُ

يُـــذَكّرْنَ آلاءَ الرّسُـــولِ وَمَـــا أَرَى ... لَهَـــا مُحْصِـــيًا نَفْسِـــي فَنَفْسِـــيّ تَبَلّـــدُ

مُفَجّعَةً قَـــدْ شَـــفّهَا فَقْـــدُ أَحْمَـــدَ ... فَظَلّـــتْ لآلاءِ الرّسُـــولِ تُعَـــدّدُ

وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُـــلّ أَمْـــرِ عَشِـــيرَةٍ ... وَلَكِنْ لِنَفْسِـــي بَعْـــدَ مَـــا قَـــدْ تَوَجّـــدُ

أَطَالَتْ وُقُوفًا تَذْرِفُ الْعَيْنَ جُهْـــدَهَا ... عَلَى طَلَلِ الْقَبْـــرِ الّـــذِي فِيـــهِ أَحْمَـــدُ

فَبُورِكْتَ يَا قَبْرَ الرّسُولِ وَبُورِكَـــتْ ... بِلادٌ ثَـــوَى فِيهَـــا الرّشِـــيدُ الْمُسَـــدّدُ

وَبُورِكَ لَحْدٌ مِنْـــكَ ضُـــمّنَ طَيّبًـــا ... عَلَيْـــهِ بِنَـــاءٌ مِـــنْ صَـــفِيحٍ مُنَضّـــدُ

تَهِيلُ عَلَيْـــهِ التّـــرَبَ أَيْـــدٍ وَأَعْـــيُنٍ ... عَلَيْـــهِ وَقَـــدْ غَـــارَتْ بِـــذَلِكَ أَسْـــعَدُ

لَقَدْ غَيّبُوا حِلْمًـــا وَعِلْمًـــا وَرَحْمَـــةً ... عَشِـــيّةَ عَلّـــوْهُ الثّـــرَى لا يُوَسّـــدُ

وَرَاحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِـــيهِمْ نَبِـــيّهُمْ ... وَقَدْ وَهَنَـــتْ مِـــنْهُمْ ظُهُـــورٌ وَأَعْضُـــدُ

يُبَكّونَ مَنْ تَبْكِي السّـــمَوَاتُ يَوْمَـــهُ ... وَمَنْ قَدْ بَكَتْـــهُ الأَرْضُ فَالنّـــاسُ أَكْمَـــدُ

وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًـــا رَزِيّـــةُ هَالِـــكٍ ... رَزِيّـــةَ يَـــوْمِ مَـــاتَ فِيـــهِ مُحَمّـــدُ ؟

تَقَطّعُ فِيهِ مَنْـــزِلُ الْـــوَحْيِ عَـــنْهُمُ ... وَقَـــدْ كَـــانَ ذَا نُـــورٍ يَغُـــورُ وَيُنْجَـــدُ

يَدُلّ عَلَى الرّحْمَنِ مَنْ يَقْتَـــدِي بِـــهِ ... وَيُنْقِذُ مِـــنْ هَـــوْلِ الْخَزَايَـــا وَيُرْشِـــدُ

إِمَامٌ لَهُمْ يَهْـــدِيهِمْ الْحَـــقّ جَاهِـــدًا ... مُعَلّـــمُ صِـــدْقٍ إِنْ يُطِيعُـــوهُ يُسْـــعَدُوا

عَفُوٌ عَنْ الـــزّلاّتِ يَقْبَـــلُ عُـــذْرَهُمْ ... وَإِنّ يُحْسِـــنُوا فَاَللّـــهُ بِـــالْخَيْرِ أَجْـــوَدُ

وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُـــوا بِحَمْلِـــهِ ... فَمِـــنْ عِنْـــدِهِ تَيْسِـــيرُ مَـــا يُتَشَـــدّدُ

فَبَيْنَا هُمْ فِـــي نِعْمَـــةِ اللّـــهِ بَيْـــنَهُمْ ... دَلِيـــلٌ بِـــهِ نَهْـــجُ الطّرِيقَـــةِ يُقْصَـــدُ

عَزِيزٌ عَلَيْه أَنْ يَجُورُوا عَنْ الْهُـدَى ... حَرِيصٌ عَلَـى أَنْ يَسْـتَقِيمُوا وَيَهْتَـدُوا
عَطُوفٌ عَلَـيْهِمْ لا يُثَنّـى جُنَاحَـهُ ... إلَـى كَنَـف يَحْنُـو عَلَـيْهِمْ وَيَمْهَـدُ
فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ النّـورِ إذْ غَـدَا ... إلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِـنْ الْمَـوْتِ مُقْصِـدُ
فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إلَى اللّـه رَاجِعًـا ... يُبَكّيـه حَـقّ الْمُرْسَـلاتِ وَيُحْمَـدُ
وَأَمْسَتْ بِلادُ الْحُرْمِ وَحْشًا بِقَاعُهَـا ... لِغَيْبَةِ مَا كَانَـتْ مِـنْ الْـوَحْيِ تُعْهَـدُ
قِفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللّحْدِ ضَـافَهَا ... فَقِيـدٌ يُبَكّينَـهُ بَـلاطٌ وَغَرْقَـدُ
وَمَسْـجِدُهُ فَالْمُوحِشَـاتُ لِفَقْـدِهِ ... خَـلاءٌ لَـهُ فِيـهِ مَقَـامٌ وَمَقْعَـدُ
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ ثَمّ أَوْحَشَـتْ ... دِيَـارٌ وَعَرَصَـاتٌ وَرَبْـعٌ وَمَوْلِـدُ
فَبَكّي رَسُولَ اللّهِ يَـا عَـيْنُ عَبْـرَةً ... وَلا أَعْرِفَنّـكِ الـدّهْرَ دَمْعُـكِ يُجْمَـدُ
وَمَا لَكِ لاَ تَبْكِينَ ذَا النّعْمَـةِ الّتِـي ... عَلَـى النّـاسِ مِنْهَـا سَـابِغٌ يَتَغَمّـدُ
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالـدّمُوعِ وَأَعْـوِلِي ... لِفَقْدِ الّـذِي لا مِثْلُـهُ الـدّهْرَ يُوجَـدُ
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُـونَ مِثْـلَ مُحَمّـدٍ ... وَلا مِثْلُـهُ حَتّـى الْقِيَامَـةِ يُفْقَـدُ
أَعَـفّ وَأَوْفَـى ذِمّـةً بَعْـدَ ذِمّـةٍ ... وَأَقْـرَبَ مِنْـهُ نَـائِلاً لا يُنَكّـدُ
وَأَبْـذَلَ مِنْـهُ لِلطّرِيـفِ وَتَالِـدٍ ... إذَا ضَـنّ مُعْطَـاءٌ بِمَـا كَـانَ يُتْلَـدُ
وَأَكْرَمَ صِيتًا فِي الْبُيُوتِ إذَا انْتَمَـى ... وَأَكْـرَمَ جَـدّا أَبْطَحِيّـا يُسَـوّدُ
وَأَمْنَعَ ذِرْوَاتٍ وَأَثْبَـتَ فِـي الْعُلَـا ... دَعَـائِمَ عِـزّ شَـاهِقَاتٍ تُشَـيّدُ
وَأَثْبَتَ فَرْعًا فِـي الْفُـرُوعِ وَمَنْبَتًـا ... وَعُودًا غَـذّاهُ الْمُـزْنُ فَـالْعُودُ أَغْيَـدُ
رَبّـاهُ وَلِيـدًا فَاسْـتَتَمّ تَمَامُـهُ ... عَلَـى أَكْـرَمِ الْخَيْـرَاتِ رَبّ مُمَجّـدُ
تَنَاهَتْ وَصَـاةُ الْمُسْـلِمِينَ بِكَفّـهِ ... فَلا الْعِلْمُ مَحْبُـوسٌ وَلا الـرّأْيُ يُفْنَـدُ
أَقُـولُ وَلا يُلْقَـى لِقَـوْلِي عَائِـبٌ ... مِنْ النّـاسِ إلا عَـازِبُ الْعَقْـلِ مُبْعَـدُ
وَلَيْسَ هَـوَايَ نَازِعًـا عَـنْ ثَنَائِـهِ ... لَعَلّي بِـهِ فِـي جَنّـةِ الْخُلْـدِ أَخْلَـدُ
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِـذَاكَ جِـوَارَهُ ... وَفِي نَيْلِ ذَاكَ الْيَـوْمِ أَسْـعَى وَأَجْهَـدُ

وَقَالَ حَسَّان بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا ، يَبْكِي رَسُولَ اللهِّ صَلّى اللهّ عَلَيْهِ وَسَلَّم

مَـــا بَـــالُ عَيْنِـــكَ لا تَنَـــامُ كَأَنّمَـــا ... كُحِلَـــتْ مَآقِيهَـــا بِكُحْـــلِ الأَرْمَـــدِ
جَزَعًـــا عَلَـــى الْمَهْـــدِيّ أَصْـــبَحَ ثَاوِيًـــا ... يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَـــى لا تَبْعَـــدْ
وَجْهِـــي يَقِيـــكَ التّـــرْبَ لَهْفِـــي لَيْتَنِـــي ... غُيِّبْتُ قَبْلَـــكَ فِـــي بَقِيـــعِ الْغَرْقَـــدِ
بِـــأَبِي وَأُمّـــي مَـــنْ شَـــهِدْتُ وَفَاتَـــهُ ... فِي يَوْمِ الاثْنَـــيْنِ النّبِـــيّ الْمُهْتَـــدِي
فَظَلَلْـــتُ بَعْـــدَ وَفَاتِـــهِ مُتَبَلّـــدًا ... مُتَلَـــدِّدًا يَـــا لَيْتَنِـــي لَـــمْ أُولَـــدْ
أَأُقِـــيمُ بَعْـــدَكَ بِالْمَدِينَـــةِ بَيْـــنَهُمْ ... يَا لَيْتَنِـــي صُـــبِّحْتُ سَـــمّ الأَسْـــوَدِ
أَوْ حَـــلّ أَمْـــرُ اللّـــهِ فِينَـــا عَـــاجِلاً ... فِي رَوْحَةٍ مِـــنْ يَوْمِنَـــا أَوْ مِـــنْ غَـــدِ
فَتَقُـــومَ ســـاعَتِنَا فَنَلْقَـــى طَيِّبًـــا ... مَحْضًـــا ضَـــرَائِبُهُ كَـــرِيمَ الْمَحْتِـــدِ
يَـــا بِكْـــرَ آمِنَـــةَ الْمُبَـــارَكِ بِكْرُهَـــا ... وَلَدَتْـــهُ مُحْصَـــنَةٌ بِسَـــعْدِ الأَسْـــعَدِ
نُـــورًا أَضَـــاءَ عَلَـــى الْبَرِيّـــةِ كُلّهَـــا ... مَنْ يُهْـــدِ لِلنّـــورِ الْمُبَـــارَكِ يَهْتَـــدِي
يَـــا رَبِّ فَاجْمَعْنَـــا مَعًـــا وَنَبِيّنَـــا ... فِـــي جَنّـــةٍ تَثْنَـــى عُيُـــونُ الْحُسّـــدِ
فِـــي جَنّـــةِ الْفِـــرْدَوْسِ فَاكْتُبْهَـــا لَنَـــا ... يَا ذَا الْجَلالِ وَذَا الْعُـــلا وَالسّـــوْدُدِ
وَاللّـــهِ أَسْـــمَعُ مَـــا بَقِيـــتُ بِهَالِـــكٍ ... إِلا بَكَيْـــتُ عَلَـــى النّبِـــيّ مُحَمّـــدِ
يَـــا وَيْـــحَ أَنْصَـــارِ النّبِـــيّ وَرَهْطِـــهِ ... بَعْدَ الْمُغَيّبِ فِـــي سَـــوَاءِ الْمُلْحَـــدِ
ضَـــاقَتْ بِالأَنْصَـــارِ الْـــبِلادُ فَأَصْـــبَحُوا ... سُـــودًا وُجُـــوهُهُمْ كَلَـــوْنِ الإِثْمِـــدِ
وَلَقَـــدْ وَلَـــدْنَاهُ وَفِينَـــا قَبْـــرُهُ ... وَفُضُولَ نِعْمَتِـــهِ بِنَـــا لَـــمْ نَجْحَـــدْ
وَاللّـــهُ أَكْرَمَنَـــا بِـــهِ وَهَـــدَى بِـــهِ ... أَنْصَارَهُ فِـــي كُـــلّ سَـــاعَةِ مَشْـــهَدِ
صَـــلّى الإِلَـــهُ وَمَـــنْ يَحُـــفّ بِعَرْشِـــهِ ... وَالطّيّبُـــونَ عَلَـــى الْمُبَـــارَكِ أَحْمَـــدْ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ حَسَّان بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي رَسُولَ اللهِّ صَلّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّم

نَـــبِّ الْمَسَـــاكِينَ أَنّ الْخَيْـــرَ فَـــارَقَهُمْ ... مَـــعَ النّبِـــيّ تَـــوَلّى عَـــنْهُمْ سَـــحَرَا
مَنْ ذَا الّـــذِي عِنْـــدَهُ رَحْلِـــي وَرَاحِلَتِـــي ... وَرِزْقُ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُؤْنِسُـــوا الْمَطَـــرَا
أَمْ مَـــنْ نُعَاتِـــبُ لا نَخْشَـــى جَنَادِعَـــهُ ... إِذَا اللّسَانُ عَتَا فِي الْقَـــوْلِ أَوْ عَثَـــرَا
كَـــانَ الضّـــيَاءَ وَكَـــانَ النّـــورَ نَتْبَعُـــهُ ... بَعْدَ الإِلَهِ وَكَـــانَ السّـــمْعَ وَالْبَصَـــرَا
فَلَيْتَنَـــا يَـــوْمَ وَارَوْهُ بِمُلْحَـــدِهِ ... وَغَيّبُـــوهُ وَأَلْقَـــوْا فَوْقَـــهُ الْمَـــدَرَا
لَـــمْ يَتْـــرُكِ اللّـــهُ مِنّـــا بَعْـــدَهُ أَحَـــدًا ... وَلَمْ يَعِشْ بَعْـــدَهُ أُنْثَـــى وَلا ذَكَـــرَا
ذَلّـــتْ رِقَـــابُ بَنِـــي النّجّـــارِ كُلّهِـــمْ ... وَكَانَ أَمْرًا مِنْ امْرِ اللّـــهِ قَـــدْ قُـــدِرَا
وَاقْتُسِـــمَ الْفَـــيْءُ دُونَ النّـــاسِ كُلّهِـــمْ ... وَبَـــدّدُوهُ جِهَـــارًا بَيْـــنَهُمْ هَـــدَرَا

وَقَالَ حَسّان بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي رَسُولَ اللهِّ صَلّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلّم أَيْضًا :

آلَيْتُ مَا فــي جَميــعِ النّــاس مُجْتَهــدًا ... منّــي أَلْيَــةَ بَــرّ غَيْــرَ إِفْنَــاد
تَاللّه مَــا حَمَلَــتْ أُنْثَــى وَلا وَضَــعَتْ ... مِثْلَ الرّسُول نَبــيّ الأُمّــة الْهَــادي
وَلا بَــرَا اللّــهُ خَلْقًــا مــنْ بَرِيّتــه ... أَوْفَــى بذمّــة جَــار أَوْ بميعَــاد
منْ الّــذي كَــانَ فينَــا يُسْتَضَــاءُ بــه ... مُبَــارَكَ الأَمْــر ذَا عَــدْل وَإِرْشَــاد
أَمْسَى نسَــاؤُك عَطّلْــنَ الْبُيُــوتَ فَمَــا ... يَضْرِبْنَ فَــوْقَ قَفَــا ســتْر بأَوْتَــاد
مِثْلَ الرواهــب يَلْبَسْــنَ الْمَبَــاذلَ قَــدْ ... أَيْقَنّ بالْبُؤْس بَعْــدَ النّعْمَــة الْبَــادي
يَا أَفْضَلَ النّاس إنّــي كُنْــتُ فــي نَهَــر ... أَصْبَحْتُ منْهُ كَمثْل الْمُفْرَد الصّــادي

قصيد أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب
يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم

أرقــت فبــات ليلــي لا يــزول ... وليــل أخــي المصــيبة فيــه طــول
وأســعدني البكــاء وذاك فيمــا ... أصــيب المســلمون بــه قليــل
لقــد عظمــت مصــيبتنا وجلــت ... عشــية قيــل قــد قــبض الرســول
وأضــحت أرضــنا ممــا عراهــا ... تكــاد بنــا جوانبهــا تميــل
فقــدنا الــوحي والتنزيــل فينــا ... يــروح بــه ويغــدو جبرئيــل
وذاك أحــق مــا ســالت عليــه ... نفــوس النــاس أو كربــت تســيل
نــبي كــان يجلــو الشــك عنــا ... بمــا يــوحى إليــه ومــا يقــول
ويهــدينا فــلا نخشــى ضــلالا ... علينــا والرســول لنــا دليــل
أفــاطم إن جزعــت فــذاك عــذر ... وإن لم تجزعــي ذاك الســبيل
فقــبر أبيــك ســيد كــل قــبر ... وفيــه ســيد النــاس الرســول

قصيدة أبي العتاهية :

لبيك رسول الله من كان باكيًا ... فلا تنس قبرًا بالمدينة ثاويًا
جزى الله عنا كل خير محمدًا ... فقد كان مهديًا وقد كان هاديًا
وكن رسول الله روحًا ورحمة ... ونورًا وبرهانًا من الله باديًا
وكان رسول الله بالخير آمرًا ... وكان عن الفحشاء والسوء ناهيًا
وكان رسول الله بالقسط قائمًا ... وكان لما استرعاه مولاه راعيًا
وكان رسول الله يدعو إلى الهدى ... فلبى رسول الله لبيه داعيًا
أينسى أبرُ الناس بالناس كلهم ... وأكرمهم بيتًا وشعبًا وواديًا
تكدر من بعد النبي محمد ... عليه سلام الله ما كان صافيًا
ركنّا إلى الدنيا الدنية بعده ... وكشفت الأطماع منا مساويا
وكم من منار كان أوضحه لنا ... ومن علمَ أمسى وأصبح عافيًا
إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى ... تقلب عُريانًا وإن كان كاسيًا
وخيرُ خصال المرء طاعةُ ربه ... ولا خير فيمن كان لله عاصيًا

تم بحمد الله

نسأل الله تعالى العلي القدير ، أن يرزقنا شفاعة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وأن يوردنا حوضه الشريف ويسقينا منه شربة لا نظمأ بعدها أبدًا ، وأن لا يحرمنا من رفقته في الآخرة ، وأن لا يفرق بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم .

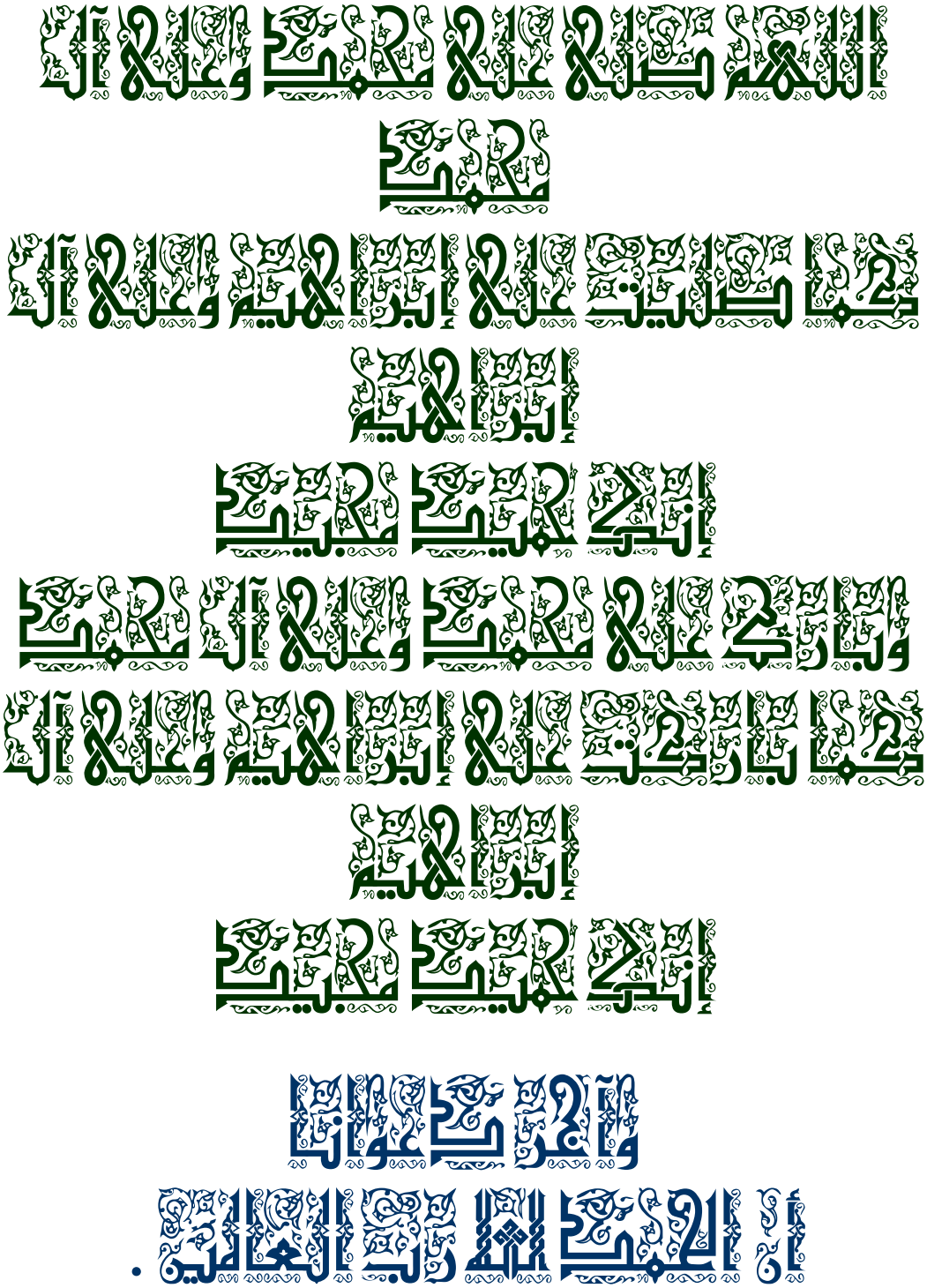

كتبه الفقير إلى عفو الله ورحمته

محمد سعد عبدالدايم

البريد : maham777@yahoo.com

وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢
الآيات والأحاديث المنذرة بوفاته صلى الله عليه وسلم	٤
بداية مرضه صلى الله عليه وسلم	١١
ذكر ما جاء في أيام مرضه صلى الله عليه وسلم	
سبب مرض النبي صلى الله عليه وسلم	١٤
شدة المرض وثقله على النبي	١٦
صلى الله عليه وسلم	
انتقال النبي صلى الله عليه وسلم لبيت عائشة عليها السلام	١٩
محاولة أهل البيت معالجة النبي صلى الله عليه وسلم :	٢١
رقية عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم :	٢٢
آخر صلاة صلاها رسول الله	٢٣
صلى الله عليه وسلم	
آخر مجلس جلسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٢٧
آخر نظرة نظرها صلى الله عليه وسلم لأصحابه	٢٨
وآخر مرة يرون فيها وجهه الشريف	
آخر كلام النبي ووصاياه	٣١
صلى الله عليه وسلم	

زيارة فاطمة رضي الله عنها لأبيها في مرضهصلى الله عليه وسلم ٣٥
لحظات وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ٣٦
طيب رائحة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ٤٠
الثوب الذي توفي فيه النبي صلوات الله وسلامه عليه ٤١
تسجية الرسول صلى الله عليه وسلم ٤٢
كفن النبي ٤٣
صلى الله عليه وسلم
تغسيل النبي ٤٥
صلى الله عليه وسلم
الصلاة على سيد الخلق خليل الرحمن ٤٧
صلوات ربي وسلامه عليه
دفن النبي ٤٨
صلوات الله وسلامه عليه
آخر من لمس جسد النبي ٥١
صلى الله عليه وسلم
وقت وفاة الرسول ووقت دفن جسده الشريف ٥٤
صلى الله عليه وسلم
قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ٥٦
سنه صلى الله عليه وسلم عند وفاته ٥٧
تركة النبي صلى الله عليه وسلم ٥٨
مات ودرعه مرهونة صلوات ربي وسلامه عليه ٥٩
ومات صلى الله عليه وسلم وله ثوب ينسج ٦٠
موقف الصديق من خبر وفاته صلى الله عليه وسلم ٦٠
تأثر الصحابة وبكاءهم عليه صلى الله عليه وسلم ٦٢
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم هي أعظم المصائب ٦٦

معرفة أهل الكتاب بيوم وفاته صلى الله عليه وسلم ٦٧
حديث الكتاب وبيان ما فيه ٦٩
قصيدة حسان بن ثابت رضي الله عنه في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم ٧٥
قصيدة أخرى لحسان بن ثابت رضي الله عنه ٧٦
قصيدة أخرى لحسان بن ثابت رضي الله عنه ٧٧
قصيدة أخرى لحسان بن ثابت رضي الله عنه ٧٨
قصيد أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب
يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم ٧٨
قصيدة أبي العتاهية ٧٩
الخاتمة ٨٠